الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والاعلام
دار الرشيد للنشر



أغاريد الراعي

بلادي هواها في لساني وفي دمي
يمجدها قلبي ويدعو لها فمي
ولا خير فيمن لا يحب بلاده
ولا في حليف الحب ان لم يتيم
فليس من الاوطان من لم يكن لها
فداء، وان امسى اليهن ينتمي

مصطفى نعمان البدري

أغاريد الرافعي

دراسة وتدوين

مصطفى نعمان البدري

مقدمـــة في : **أغـــاريد الرافعي**

كلانا على التَغَريد يا طيرُ نلتقي
وما بينَنا إلا اختلافُ لغاتِ
الرافـعي

قد يكونُ الانسانُ شاعراً بالأحاسيس الوجدانية في وقتٍ مبكر جـداً من حياته[1] فهـو يألفُ المناغاة ، وينصـتُ لتناغم صـوتِ الأرجـوحة ، ويغفو على صدر أمه ، ويأنَس ببعضِ الألوان من الثياب والمتاع واللعب والهدايا .

وقد تكون هذه الأحاسيس ولدت مع الانسان الأول في الطبيعـة التي وجد حياته فيها ؛ فهي تُغريه بمفاتنها وجمالها ، وتزيّن له مجـاليها ، فيأوي إليها في سهولها ووديانهـا ، ويطلعّ عليهـا في روابيهـا ، ويحتمي بسكونها ويعرف مسالكها ومساريها .

وربّما تملّى الكثير من صور الفتنة ومغاني الجمال الآسر فيها ، وأنصت للأصـوات المنبعثة عنها من هنا وهناك ، .. ووجـد في خـــرير الماء من عيونها وجريانه في جداولها فوق الحصـباء سـلسبيلاً يُرْويه تارةً ، ويؤنُس من وحشته تارةً أخرى ، .. وخَبر من حركة المساقط والشـلالات ألواناً من الجمالي تقربُهُ إليها مرةً ، وتبعده عنها مرّات .

---

(١) من المباحث الطبية الطريفة إدراك موسيقى «الرحم» وتنغيمها لتهدئة الطفل الحديث الولادة ، وقد جرّبتُها مع ولدي «أحمد» !

وحيثما كان يبصر البرق ، ويسمع صوت الرعد ، فيفرق حيناً ويستبشر بهما أحياناً ، فيحاول جهده أن يألفهما وينعم ببشرياتهما ، .

وعندما رأى المخلوقات الأخريات من حواليه : من نبات يلقاه هنا وهناك ؛ يميل مع الريح ، ويهتزّ وربما صفُر وصوّت ، .. فيسليه ، ويأخذه إليه فيفلحُ في مرافقته زراعة وعناية . ويثمر معه بدُرْبةٍ ودراية .

ومن حيوان يقف بأزائه ؛ يقطع عليه سبيل عيشه مرة ، أو يقترب منه فيؤانسه ويألفه ويصوّت له ويلاعبه ويسرح معه ، ويروّح ، فيخفف عليه من هموم الحياة ، ويمنحه من بعض عطائه غذاءً وكساءً ، وغنىً وفيراً ؛ يطير في السماء أمام ناظريه ، ويغشى الأرض من بين يديه !

كلُّ هذه الصور من الحياة ، والمجالي الطبيعية ، كانت تأسر الانسان بقواها الظاهرة والخفية : فيتمكّنُ منها ، ويقوى مع آياتها ، وينفرد ، في فلتاتٍ له بين سورها وصورها . أو يرتدُّ عنها مخفقاً ، وربما عجز عن مطاولتها في كرةٍ ، .. فتنطبع في اعماقه منها الواح من المؤانسة والخوف والالفة والنفرة ، والقرب والبعد ، وما الى ذلك من الأضداد ، ..

ومن هنا كانت مشاعره الأولى ، وأحاسيسه الوجدانية ، وما ألقي في روعه منها ، وفي وعيه الظاهر وانبهامه الباطن من المواجد والأحوال ، ..

وهو منذُ حاول تقليد الطبيعة ومرافقتها والعيش معها بمواءمة ، ومجاهدة ، ومسالمة ومعاهدة ، .. وأراد التحوير والتطوير ، أو التحوّل والتنظير بحسب ما يراه الأحبُّ الى نفسه ، والأقرب الى مزاجه ، والأطيب لهواه ، ومثارات حسّه ووجدانه ، .. كان النّغم يدُير لسانه ،

واللحن يستهويه ، وتُغريه الموسيقىٰ باجتماعها وانفراد الأصوات عندها .

ومن هنا راح يؤانسها في خَلَواته ، ويدنو بها من محرابِ تأمله ، ويشركها نظرته الى الغيب ، والمستقبل بما يرسله من دعاء ، وما يرجوه في النداء ، أو بما يخشاه بالفداء ، فيترنّم ، ويتغنّى ، ويؤثر النغم في قوله ، والوزن في كلامه ، والألحان التى تملأ عليه أفق آماله .

ومن هنا ولد الشعر ، وانتظم النشيد ، وتوطّدَ الغناء ، وائتلفت النغمات واختلفت الألحان ، وتساوقت الأصوات ، وتطاوعت الأصداء .

ومن هنا أيضاً كلفت الأمم بالفتون ، وتنوعت فيها الفنون وتميزت كلٌ عن سواها بأغاريد ومرددات ، وإنطبعت لها أناشيد وأغنيات .

ويوم عرف الانسان الدين ، وانتظم حياته يرقب أعمالَهُ ، وهفت نفسه إليه طواعية ، أو توبة ، كان النداء والدعاء بعض نشيده ، وكان التغني بآلاء الله ومباكرتها في الغدو ، ومبارحتها في الرواح بعض صلواته وتسبيحه ، ولم تخلُ موروثات الأديان القديمة من مرددات فيها النغم ، ومن حولها ألحان المعابد وأجوائها ذات الرهبة والخشوع ، .

وقد نقل في التوراة «نشيد الانشاد» وهو ذو أصول في الديانات الوثنية على ما فيه من نداء الحياة ، وموسيقى الطبيعة[٢] .

وترنم المسيحيون الأوائل بأغاريد وأناشيد ، حتى لقد دخلت الموسيقى الآلية كنائسهم وأديرتهم ، ودار بهم المدام في كلُ مقام .

---

(٢) راجع في ذلك دراسات في التاريخ القديم لاسرائيل ولفنون ـ مكتبة لجنة التأليف والترجمة ١٣٥٣هـ . .

وقد عرف العرب قديماً بنداءاتهم وصيحاتهم ، وما تتطلبه حياة قيمهم من المروءة والنخوة والشجاعة وما إليها من مفردات الفضائل . ونقل الرواة من أصوات قبائلهم ما يميزهم بها[٣] ومن أهازيج حروبهم وأعراسهم ما يؤلف باباً رائعاً في آدابهم[٤] لا ينى يمدُّهم بالعطاء الفكري والمثال القومي الى يومنا هذا .

ولما كان من الالتفاتة الصوفية في أدب المقاومة العربية للغزو الصليبي في الذكريات النبوية ، فقد تفنن بعض الشعراء والمادحين بأنواع الموشحات والأزجال التي تحيي في القلوب الايمان ، وتبعث في النفوس العزائم .

وكانت يقظة الفكر العربي عقب ارتداد الصليبين الى جحورهم في أوربا ، وامتياز الحنابلة بالصفة العربية للفقه الاسلامي ، وتأكيدهم على تنقيته مما علق به من ألواث الغنوصيات وأمراض الوهم والتصور المريض . فقد اهتز العالم الحضاري آنذاك ، وتأثر الغرب قبل الشرق من تلك اليقظة ، وحسب لها غير حساب ، فكانت مداورات التغيير التي من أشهرها اللوثة الفرنسية[٥] تلك التي اندلعت مؤثرة في العالم الحديث كله سلباً وايجاباً ، .

---

(٣) راجع مقدمة الشيخ أحمد زكي باشا لنشيد سعد زغلول .

(٤) ذلك ما حاول الكتابة فيه الرافعي رحمه الله ـ الاهرام ـ ٧ مارس ١٩٢٣م ـ وهو موضوع يجد في البحث فيه أحد أخوتنا الدارسين . ولو لا أن المقام هنا للتقدمة لأتيت على أمثلة لذلك كله ! .

(٥) لا يرى المسيو أولار في الحركة الفرنسية ثورة ، وانما يزعم أنها لانت بفكر الانسانية وأنها لم تك قومية ، ولا ناضجة ، وانما هي ماسونية يهودية .. الخ ـ الرسالة ١١٣ . على أن ما سبقها من نهضة فكرية ؛ كانت احدى معطيات الفكر العربي في الأندلس خاصة .

وكان لحركة الشعب الفرنسي فيها نشيد له مكان في التاريخ ، حاولت معظم الحركات والانتفاضات المشابهة أن يكون لها «مارسلين» خاص بها .

على أن فكرة القومية - وهي إحدى معطيات الحضارة لإعادة ابتناء الأمم كان لها في التغني بالامجاد ، والنشأة على الشعارات وترداد الأغنيات ، ما جعل من صفة العصر هذه الحركات القومية المتّسمة بالثورة والنهضة والتقدم .

وقد استبق «الترك» الى تقليد الفرنجة في هذا المذهب ، وانبعث فيهم نداءُ الأمجاد الى درجة الغلو والاسراف ، حتى كادوا يحولون الدولة الاسلامية بتريكية زعموها ما لها من سلطان حتى على أنفسهم .

وحيث أن العرب يؤلفون القوة الأولى في تلك الدولة ، وكانت استنامتهم للحكومات قد طالت ، فقد حاولوا تقليد الترك في هذا الشأن ، ولو برد فعلٍ فكلما تغنىً الترك بأمجادهم وبالغوا فيها ، كذلك فعل شبان العرب وأدباؤهم ، فأرسلوا الأشعار ، وأنتظموا الأغاني ، وتحدثوا في تاريخ دعوتهم العظيمة .

ومن هنا انبعث نداء القومية ، وعرف شعار الوطنية وتسابق الشعراء في هذا المضطرب الجديد يدلون به على الولاء ، ويمتاز كلٌ بالعطاء . وإن جاء في بعض قصائدهم وموشحاتهم من الشطط الذي قلدوا فيه المسرفين من الترك والفرنسيين .

وعلى ذلك منهم من خلط ، ومنهم من كان النداء يرفده أبداً بالاعتقاد ، ويقوم وجهة فنه نحو الأصالة ويسمو به في الجهاد .

وكذلك كان الأديب الامام مصطفى صادق الرافعي عنوان الأنشودة العربية ، وعريس الأغنية القومية ، وشاعر الحياة العربية في جهادها الحديث . التزم الأدب الاعتقادي شرعةً ومنهاجاً ، منذ سال قلمه في شعر أو نثر .

وقد ولع منذ نشأته بالأغاني الشعبية وأمثال الناس ، لما فيها من حكمة وتجربة ، وافتنّ في نظمها ، وحاول إفصاحها جهده ، وخُيّل إليه أنه يستطيع إعادة نظمها وابتداع الأوزان الموسيقية لها ، وطبعها بأساليب خاصة في النظم وانتقاء المفردات ، مما يجعل للأداء النفسي فيها مكان التأثير في الأمة .

ومنذ أوائل هذا القرن ، وهو في مستهلّ حياته الأدبية ذاعت بعض قصائده ومقطوعاته ذات الصفة التربوية ، وانتظمت حماسة على ألسنة طلبة المدارس ومنها قوله ؛ الذي جمع فيه عناصر الفكرة القومية كلها في بيت ! .

بلادي هواها في لساني وفي دمي يُمجدها قلبي ويدعو لها فمي

وكانت له قصائد أخرى في هذا الباب ، أراد بها أن يلحق ما فاته في دراسته وأن يحفظها أطفال الأمة ؛ فيشربون معها العزة القومية ، ويتغذون بأفكار الحرية ، ويعرفون كرامة الحياة ، ويشهدون الآماد .

ولعلّ في شغفه بالغناء في مطلع حياته الشابة كان لوناً من العلاج النفسي الذي تَنصرفُ إليه الذات طواعية . وكان مُنصرفاً أدبياً يربي عنده الذوق الموسيقي ، لما كان يعانيه من تضاؤل سمعهِ ، وشدة وطأة ذلك عليه .

وقد استهلَّ الكتابة بالموازنة بين الشعر وبين الغناء ، وحاول التقريب بينهما أداءً ووجداناً ، وقد حفلت دراسات له في الشعر بألوان من هذه النظرات يعيب بها ما يشاء من أهداف ، ويعرف بالفنون ، «وهو شاعر لا يملُّ الغناء ؛ لأنه أصم ، والأصم يرفع عقيرته بالترجيع لتسمع الأذن بعد الفؤاد»[٦] .

قال في براعة الشاعر «أن يكون كلامه من قلبه : فان الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الاذان» ..

وليس بشاعرٍ من إذا أنشدك لم تحسبْ أن سمعَهُ مخبوء في فؤادك وان عينكتنظر في شغافه[٧] لذلك كان أحسن الشعر ما تتغنىّ به ، .. وترى المجيد من أهل الغناء إذا رفع عقيرته يتغنى ذهب في التحرك مذاهب ، كأنما ينزع كلَّ نغمة من موضع في نفسه ، .

قال : «وإنما الشاعر والمغني في جذب القلوب سواء ، وفي سحر النفوس أكفاء ، إلا أن هذا يوحي الى القلب وذلك ينطق عنه ، وأحدهما يفيض عليه والثاني يأخذ عنه[٧] .

وإنما للنظم العربي أوزان موسيقية ؛ لأن الوزن ألحان تساعد المعنى الشعري في تهدئة النشاط للنفس ، أشبه شيء بالنور الذي يتألف فيه ماء الصورة ، ويتلألأ رونقُها ؛ ليكشف عن تمام حسنها[٨]

(٦) زكي مبارك - الرابطة العربية - ٦٨ - ١٩٣٦م .
(٧) ديوان الرافعي - ج ١ - ٨
(٨) ديوان الرافعي - ج ١ - ٤
(*) ابواب الرافعي ج ٣ ـ ٦

ومن هنا كانت صلة الرافعي بصناجة عصره الشيخ سلامة حجازي ، حتى قال فيه :

صوتٌ حواه وأبق منه باقيةً لغيره ، فحواها البلبل الفَرِدُ
تخايَرت فيه أنواع الغناء فمن تلقيبه بالحجازي يشتكي الرَصد[9]

وهذه الصلة الأدبية المتينة جعلت الحجازي يقترح عليه «أن يفتح في الشعر العربي الحديث باباً يناجي فيه النفوس ، ويخاطب العواطف ، ويهز القلوب ، بنشر قطع مختلفة في الغناء يصنعها لطبقات الأمة المختلفة»[10] وقُذِفَ في روعه أنه يستطيع أن يضع «أغاني الشعب» فحاول ذلك غير مرة[11] ومن ذلك كان اكتشافه العظيم لموهبة أم كلثوم »الغنائية[12] حين ناولها قصيدته :

عصافيرُ يحسبن القلوب من الحَبِّ فمن لي بها عصفورة لقطت قلبي
وفرّت فلمّا خافت العين فَوْتَها أدالت لها حباً من اللؤلؤ الرطب

وكانت هذه القصيدة أول ما غنته من الشعر[12] .

غير أن أحسن محاولاته الشعرية ، الغنائية وافت يوم ملأت عليه أفق حياته أم البنين .: ابنته البكر «وهيبة» وقد غدا بيته بها روضاً تغرد فيه - على حد قوله :

ولي ابنة هي معنى النفس في نظري وحكمة الفكر والوحي الذي أجدُ
كأن قلبي يراعٌ ملْءٌ من يَده فحسنُها لي من نور السماء يدُ
لا يصبحُ البيتُ روضاً للذين به ما لم يكن فيه هذا الطائر الغردُ[13]

---

(١٠) ديوان الرافعي ج ٢ - ١٢٧
(١١) الأحرام - السابق -
(١٢) طاهر الطناحي - الهلال ، ٩ - ١٩٥٧ م
(١٣) ديوان الرافعي - ج ٣ - ٦١

الذي اسمه «الطفل» .

ولم تكد تمرُّ وهيبة بسنتين من عمرها ، وتتدفق الكلمات من فيها ، وتقول له : بابا ، وتناغيه بلغاها حتى أنشد لها يقول :

إبنتي في العمر مَرّتْ   من سنيها بأثنتين
ليستا فيما غدت   تعقل إلا ضحكتين
جئتُها يوماً فألـ   قيتُ عليها قُبلتين
وأمالت عنقاً آ   لَمْتُهُ من غَمزَتين
فضت غضبي وقالت :   «باي يا بابا باي يا بابا»[14]

وكانت له من بعد محاولة افتتح بها ديوانه «النظرات» الذي أخرج جزءه الأول في صيف عام ١٩٠٧م في أوج الحركة الوطنية التي كان يقودها مصطفى كامل في الحزب الوطني للاستقلال بمصر في الدولة الاسلامية وإجلاء الانجليز المحتلين .

ويوم اقترح عليه الدكتور يعقوب صروف أن ينظم قصيدة موضوعها «الفلاح» بادر الى صياغتها نشيداً موشحاً تتناغم كلماته بغبطة ، وتتردد بنجاح وتوفيق يدعوه إليها صروف نفسه : لاصلاح لغة العامة[15] حتى عقد النية على أن يضع ديواناً صغيراً على هذا النمط من النظم لطبقات الشعب[16] ومن تلك الأغرودة قوله :

قال باسم الله ربي وخرج   والدياجي لججٌ فوق لجج
والضياء كالأماني في المهج   والدُّجى في مهبط النجم صريع

---

(١٤) ديوان النظرات ج ١ - ٩٧
(١٥) المقتطف ج ٤ - نيسان / ١٩٠٣ م
(١٦) ديوان الرافعي ج ٣ - ٨٤

وقد تضمن ديوانه الثاني والثالث وديوانه النظرات أغاني وأناشيد وموشحات في فنون من الغزل والوصف وتصوير الجمال والعواطف .

ثم وافت نيته ، يوم عقد العزم على أن يضع لكُلّ طائفةٍ من طوائف الأمة نشيداً أو أغنية عربية تنطلق بخواطرها ، وتعبر عن أمانيها وتصور من عواطفها[17]، وجرى في ذلك أشواطاً .

وكان من اهتزاز الأمة بنشيديه - الوطني ، واسلمي يا مصر «إبان الحركة الوطنية المصرية ، ما مهد له ان يعود الى محاولة فتح الباب»[18] فأنجز طائفة من هذه الاغاني ، نشر بعضها ، وما يزال سائرها طي الكتمان بين اوراقه الخاصة ، «ومؤلفاته التي لم تنشر بعد»[19] .

وقد اجتمع لدي منها ما يؤلف هذا الديوان «أغاريد الرافعي» صغيراً فريداً كما تمناه رحمه الله .

وقد جعلت قصائده وأشعاره في أبواب ثلاثة : يقتصر الأول منها على ما كان من تطمة في بناته وبنيه ، وكيف تعهدهم بتلك الأغاريد يغرس فيهم روح التربية القومية ، والقيم العالية ، والذوق البياني الرفيع ،

كما يظهر فيها مبلغ السمو النفسي في الأداء عند شاعرنا الرافعي : الذي عاش لأبنائه أباً كريماً ، ومربياً فاضلاً ومعلماً راعيا : ينشدهم ما يجول بأفئدتهم من نداء العواطف وهتاف الخواطر وتعلق بالشعارات القومية والاعتقادية . وكأنما يستجيب لما يتشوفون اليه من فضل وكرم يزهى بهم على الأقران .

---

(١٧) محمد سعيد العريان - حياة الرافعي - ٨٤

(١٨) الأخبار - ١٨/آذار / ١٩٢٣ م

(١٩) العريان - حياة الرافعي - ٨٣

إذ يبدو شديد الاحتفاء بميلاد ابنته الأولى «أم الكامل» حتى ليسارع في تأريخه بأبيات تكاد تتغنى :

يا عروس الشعر أهلاً ثم أهلاً بالنجيبه

يوم ميلادك عيد القلب يا بنتي الحبيبة

قلت في تاريخه : زينتَ بيتي يا وهيبه[20]

وما كانت تبلغ السنتين من عمرها حتى نظم لها تلك الموشحة الراقصة التي مرت الأشارة إليها آنفاً : باي يا بابا باي يا بابا» .

ويهزّ ولده الثاني محمود سامي الرافعي[21] في الأرجوحة ، فينظم اللحن والوزن مع حركتها في أرجوزة عامرة يقول فيها :

أنعمْ بها أرجوحة يا سامي تنام فيها أهنأ المنام

في قطعةٍ من روضة الأيام يأوي إليها طائر الأحلام

حتى إذا وافى على الغاية فيها قال :

يا سامياً وأنت في الأقوام من «رافعي» الحكمة في الأيام

من عترة الخليفة الامام من «عمر» المعز للاسلام

إن جميع السادة العظام أهل العلىْ والهمم الجسام

لم يولدوا أكبر في المقام منك ـ ولا في العقل والأجسام

فلا تكن أصغرهم يا « سامي »[22]

وبذلك يمرّ به على تاريخ أسرته العربية الكريمة التي أفضل الله عليها

---

(٢٠) ديوان الرافعي - ج ٣ ١٣٩

(٢١) اسم ولده الأكبر ، وقد خلع عليه اسم الشاعر محمود سامي البارودي ، وكان ينظر إليه باعجاب . في صدر ايامه .

(٢٢) ديوان النظرات ج ١ - ١٠١ .

بنعمة النسب الرفيع الى الخليفة الامام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أصول وفروع تملأ التاريخ القومي للأمة أمجاداً وزهواً وخيلاء .

ومن أجـل ان يرقص أحـد أبنائه - وهو يداعبه[٢٣] ينظم له أغنية عربية مرقصة يطبع فيها عنوان الوطنية الوليدة ويغـرس في نفسـه معـاني الجهاد والالتزام والولاء .

ويقدم لها بفصل تاريخي في آداب العرب ، والقصـائد المرقصـات - كان الاستاذ محمد سعيد العـريان[٢٤] قد افتقـده فلم يقف على أصـوله[٢٥].

وفي القصيدة يقول الرافعي :

يا ابني ويا ابن مَصرٍ	كـن دائماً لمصرك
أنت ابنُ مصرَ وابني	وسـعدها وسـعدي
أبنيك حين أبني	ني لها بوعـدي
أبنيك مـن ضميري	فلتعطـها ضميرك
ولتحييْ يـا صغيري	حـتى ترى صغـيرك

جمـالَ أهـلِ عـصرك

ثم هو يدعو الأمهـات السـيدات بقـوله : « .. ولو أن سـيداتنا الامهات يتقبلن شعر الترقيص ، ويجرين به على ألسـنتهن لكبرت اللغـة العربية مع اولادهن ولغَرَسْنَ بذلك في اذواق الاطفـال اصـول الوزن والقـافية واصول الادب معها ..

---

(٢٣) لعله الفقيد عبدالرحمن الرافعي - ولده الصغير .

(٢٤) هو الأديب المربي الفـاضل الذي كانت له على المعلمين العـرب يد ، وعلى التربية والتعليم ومؤتمرات العرب الثقافية يد أخرى ، وعلى العربية المعـاصرة يد الأدب والفكر والنضـال ، وهو أحد تلامذة الرافعي الأولين وقد أرخ له في (حياة الرافعي) - ولد في طنطا عام ١٣٤٠هـ / ١٩٠٢ م وتوفي في القاهرة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م .

(٢٥) راجع هامش ص ١٨٧ من تاريخ آداب العرب للرافعي - الجزء الثالث -

وإن بنا لحاجة شديدة الى مثل هذه العناية منهن ، فلينبهن الى ذلك فان الأمهات يلدن في ظاهر الرأي الأطفال ، ولكنهن في الحقيقة يلدنَ التاريخ[٢٦] .

وقد كانت أم الفضل بنت الحارث تقول وهي ترقص ابنها : عبدالله بن عباس

ثكلتُ نفسي وثكلتُ بكري إن لم يَسُدْ فهراً وغيرَ فهرِ
بالحَسَبِ الوافي وبذل الوَفْرِ

وقالت فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبدمناف ترقص ولدها عقيلاً :

إن عقيلاً كأسمه عقيلُ وبيبي[٢٧] الملففُ المحمولُ
أنتَ تكونُ ماجدٌ نبيلُ إذا تهبُّ شمألٌ بليلُ
يعطي رجال الحيّ أو ينيلُ

★ ★

وقالت «الشيماء» السعدية بنت الحارث ، وهي ترقص «محمداً» ﷺ رسول الله أخاها من الرضاع ، وهو طفلٌ مرضع في بادية بني سعد بن بكر :

يا ربُنا أبقِ لنا محمدا حتى أراه يافعاً وأمردا
ثم أراه سيداً مسوَّدا واكبتْ أعاديه معاً والحُسَّدا
وأعطهِ عزاً يدوم أبدا[٢٨]

---

(٢٦) الأهرام ١٠ آذار / ١٩٣٣ م
(٢٧) بيبي - أصلها بأبي .

وقد لهج الرواة بترقيصة امرأة أبي حمزة الضبي لابنتها التي تسببت ولادتها لها في هجران أبي حمزة لها ، ولزومه بيت زوجه الأخرى ، وهي تقول فيها :

ما لأبي حمزة لا يأتينا ... يبيت في البيت الذي يلينا
غضبان أنْ لا نلد البنينا ... تالله ما ذلك في أيدينا
وإنما نأخذُ ما أُعطينا ... ونحن كالأرض لزارعينا
نُنبتُ ما قد زرعوه فينا[28]

ويبدو أن الرافعي رحمه الله كان كلفاً بهذه الألوان الغنائية من الأغاريد والاناشيد المرقصات ، وهو في روحه التعليمية يسعى أبداً بدواعٍ قومية لا تفترُ عنده ، فما تبرح هذه الآداب العربية ترفده بعطائها ، وتوافيه من ثم بالخواطر المرسلة ، والفَلتات الزاهية ، وقَدَحات الجد ل ، فيهيم في قراءاته ، وينتظم مع تأملاته ، فينطلق بمثل قوله بموشحة في ابنته خديجة :

ندى الورد على فُلّك ... كسفتِ الوردَ والفُلاّ
ومن غُصنك : من ظلّك ... كسفت الغُصنَ والظلاّ
فما أحلاك في دَلّك ... ومن علّمك الدلاّ
وكلُّ الحق في كلّك ... فربي يحفظ الكلاّ

الى أن يقول :

ومن فضلك · من فضلك ... أرينا المرأةَ الفُضلى[29]

(٢٨) وقد أتيت علم الوراثة وتكوين الأجنة صدق هذه المقولة بقوانين علمية لا تختلف عن سبق هذه البدوية .

(٢٨) البيان للجاحظ ج ١ ص ١٦٣ .

(٢٩) الأهرام - ٣ نيسان/ ١٩٣٣

وكان للرافعي مع أبنائه حياة تعليمية ، وتربوية عالية ، منحهم حرية الفكر ، وعاونهم على الدرس ، ومكن لهم اتجاهاتهم ، واستجاب لرغباتهم ما أمكنه ذلك .

طلب إليه ناظر مدرسة طنطا الثانوية نظم نشيد خاص بها ، وكان ولده الشيخ عبدالرحمن - كما كان يدعوه - قد دخلها ذلك العام (١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م) فأرسل النشيد على لسانه من بحر زعم أنه «جديد ليس في العربية منه»[٣٠] .

وقال العريان : «كما لم يجد نغمة تلائمه فيما يُعرف من بحور الشعر ، فاخترع له هذا الميزان الذي يزنه به قارئُهُ ، وسماه (طبل الحرب) ، ولكن صاحب «المقطم» أشار عليه أن يسميه «البحر المنفجر» وتفعيلاته (فعلن فعلن فو ـ كذا) مكررة في كلِّ شطرة[٣١] قال الرافعي : «حيث محلُّ القوة والحماسة» في البنين[٣٢] ومطلع النشيد :

مجداً مجداً مدرستي مدرستي مجداً مجدا

عن علمي عن تربيتي مدرستي حمداً حمدا

★ ★ ★

وجاءته يوماً ابنته «زينب» وهي ذات دل خاص عنده ، واستعداد عظيم جداً ، وكانت الأولى في صفها دائماً[٣٣] فطلبت إليه نظم نشيد آخر لتلحنه الأنسة ماري سلامة قدسي - معلمة الفن والموسيق بمدرسة البنات الثانوية ، فاستجاب لها في أقلّ من يوم ، ونظم نشيد «بنت النيل» ليلُقِ

---

(٣٠) رسائل الرافعي - ٢٤٨ - والحق أنه مجزوء المتدارك ، وتفعيلته (فعلن فعلن فَعْ) وليس كما ذهب العريان - حياة الرافعي - ٨٤

(٣١) حياة الرافعي - ٨٤

(٣٢) وقد طبع النشيد في كراس صغير .

(٣٣) رسائل الرافعي ٢٥١

مغنىً في الحفلة السنوية للمدرسة ، فكان للبنات نشيدهنَّ أيضاً : غناء وحماسة ظريفة[٣٤] ومطلعه :

واديـنـــا واديـنـــا كصفـــوِ النــــدى
يهديـنـــا يهديـنـــا طبـــاع الهــــدىٰ

★ ★ ★

أما الباب الثاني فهو مجموعة الأناشيد القومية التي وفق إليها آنذاك بما لم يتهيأ لشاعر عربي أن يتوفر عليه من معانيها ، وخصائص القيم والأعراف والشعارات التي ضمنها نظمها وأبياتها ، على كثرة ما نظم من الأناشيد القومية في الدنيا العربية بعده ، ولا سيما في الشام والعراق حيث مكان الدعوة والثورة المستمرة ، والحماسة الغالبة .

وقد كان الاستاذ عزالدين صالح[٣٥] كتب في موضوع الاناشيد مقالة قوية ، أتى فيها على ما للأمم في هذا الباب ، وكيف تطورت فيها اناشيدها القومية مع نهضاتها وتحول الأيام فيها من عهد الى عهد ، ويبدو انه كان متأثراً بروح النشيد الفرنسي ، حتى قال :

«أن اليوم الذي تجتمع فيه الوطنية الحقة ، والشعر والموسيقى في قلب أحد أبناء النيل ، هو اليوم الذي نسمع فيه نشيدنا القومي المنتظر»[٣٦] .

ويخيلُ إليَّ أن الرافعي قد رشحَ نفسه لمثل هذا الاجتماع : الذي يستطيع به أن يسمع الدنيا صوت مصر .

---

(٣٤) رسائل الرافعي . ومع ان الثانوية قبطية ، فقد مكن «للهدى» من أفواه وقلوب بناتها .
(٣٥) كاتب عربي من مصر الجنوبية (السودان)
(٣٦) الزهور ج ٨ - ٤ كانون الاول ١٩١٣ م

وانفراد الرافعي بهذه الميزة التي فاق بها - فيما بعد - له طابع وروح هي غير ما عرفناه في سائر شعره ، فكأنه كان هبة الزمان للعربية ؛ ليزيد فيها هذا الفن الشعري البديع ؛ الذي تقطعت أنفاس شعراء العرب دونه منذ أنشد شاعرهم في الزمن القديم : نحن بنو الموت إذا الموت نزل .

قال العريان : ثم لم يقُلْ أحدٌ من بعده شعراً يترنم في الحرب[٣٧] أو يدعو إلى الجهاد ، أو يستنفر الى المعركة حتى قال الرافعي وأنشد»[٣٨] .

وكانت محاولات نظم النشيد العربي قد وافقت الحركة القومية التي كانت تحاول تعريب الخلافة ، وكانت ردّ فعل لتخلف السلطنة العثمانية ، والتتريكية التورانية[٣٩] التي فشت في جهاز الدولة ومتعلمي الترك متأثرين بالدعوة الفرنسية للقومية .

وكان رفاعة الطهطاوي وعبدالله النديم فيمن حاولوا ذلك[٤٠] .

غير أن الرافعي كان مهتماً بالحركة الوطنية التي قادها مصطفىٰ كامل والحزب الوطني والدعوة الى استقلال وادي النيل ضمن الدولة الاسلامية على سبيل اللامركزية الذي ذاع في تلك الأيام ، فنظم نشيده الوطني الاول وقد قال فيه :

(٣٧) هذه مبالغة ، فأين نضع نداء لقيط بن يعمر الايادي في «الفزعة» التي هي قوام الانتصار العربي ، الذي كان بسببه «يوم ذي قار» الذي انتصف فيه العرب من العجم ؟ واين يذهب شعر الفتوح الاسلامية في المشرق والمغرب ؟ وهو ديوان أمة ، وملحمة تاريخ ، وأين صيحات القبائل ونداءات الفرسان ؟ .. لقد اغفل العُريان كل ذلك .

(٣٨) حياة الرافعي - ٨٤

(٣٩) نسبة الى «توران شاه»

(٤٠) راجع ذلك في رسالة ..

يا حمى النيل الأمين لك في قلبي حنين
لك إخلاصي المتين وهوى الأوطان دين

مصرُ يا خير وطنْ مصر يا أم الزمن
لك من غير ثمنَ كلُّ عمري الثمين

ثم نهضت الأمة في مصر عقب الحرب الأولى ، وقد رأت أبناء الشام والعراق يقيمون لهم نهضة ، ويؤسسون مملكة تستقلُّ بالحجاز والجزيرة ، وتؤلف نداء القومية لابتناء الدولة العربية الجديدة ، وراح أبناء النيل يطالبون باستقلالهم عن الاحتلال وكان الحلفاء يخاتلون في عهودهم لهؤلاء ، ومواثيقهم مع أولئك ، ويسخرون من تصريحاتهم أيام الحرب في الحرية للشعوب ، وقد جاؤا أوصياء حتى على مبادئهم التي زعموها في حقوق الانسان وتقرير المصير .

وهنا دوّى صوت الحرية في النفوس ، وارتفع الأذان يدعو : حيٌ على الفلاح حيٌ على الجهاد ، واجتمعت طائفة من رجالات مصر آنذاك على أن يكون للنهضة نشيد يعبرُ عن آمالها وأهدافها ، وتلفت الناس يفتشون عن الشاعر الموهوب الذي يؤملون أن تتحدث الأمة بلسانه معبرة عن أهدافها وأطماحها وتهتف بشعره ، واستبق الرافعي مع الشعراء بنشيد له يقول :

إلى العلا الى العلا بني الوطن الى العلا كلُّ فتاةٍ وفتىً
الى العلا في كلِّ عصرٍ وزمن فلن يموت مجدنا كلا ولن

قالت جريدة «الاخبار»[41] يومئذ وقد نشرته في صدر صفحتها الأولى : ·

«نقدم إلى الأمة هذا النشيد الفخم الذي وضعه ذلك الشاعر في نبوغه والنابغة في شعره ، الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي ، وهو صورة حية للشعور الوطني الذي ملك الروح ، بل هو صرخة ذلك الروح ، وإن اتزنت كلاماً ، ..

الى أن تقول : ما أجدره أن يكون ندى على الألسنة في كل هاجرة»[42].

وكان استقبال الناس لنشيد الرافعي واحتفائهم به في كلّ مكان[43] ولا سيما بعد ما عرف الجمهور بأن الشاعر قد سحب النشيد من مسابقة أعدتها الحكومة في هذا الشأن ، وشيوع خبر حكم اللجنة المكلفة بالتحكيم بين الأناشيد المقدمة لها لصالح أحمد شوقي كبير الشعراء يومذاك[44] .

شهد الاستاذ سعيد العريان إحدى تلك الاحتفالات في مسرح البلدية بطنطا عام ١٩٢١ وقال : «ما أحسب أني رأيت من بعدُ نشيداً احتفل له الناس ما احتفلوا لنشيد الرافعي يومئذ»[45]

وقد أقام هذا النشيد ثورة أدبية من النقد والموازنة ، ملأت أشهر

---

(٤١) الأخبار ، جريدة قومية أنشأها الزعيم أمين الرافعي ، وكانت لسان النهضة المصرية ، وقفت بشموخ أمام (الاهرام) الفرنسية و (المقطم) الانجليزية ا .

(٤٢) الأخبار ١ سبتمبر ١٩٢٠ .

(٤٣) حياة الرافعي - ٨٧

(٤٤) راجع قصته ذلك في الطبعة الثانية للنشيد - وخبر اللجنة وصحف ذلك العهد .

(٤٥) العريان - السابق

الصحف ، وكادت أن تمزق صفوف الأدباء ، وتوّجج بينهم نار العداوات[46] .

وعلى سبيل المثال ـ لا الحصر أذكر : أن «فقيهاً» تناول هذه القطعة من النشيد والتي تقول :

إيماننا كنيسةً ومسجدا ... وكلُّ ما في القلب حباً وهدى
وكلُّ ما في العمر يوماً وغدا ... وكلُّ ما نملكُ للمجد ثمن

وهي كما ترى ردٌّ ثائر مقاوم للاحتلال وسياساته الرامية الى تفريق الصفوف طائفياً ، لاضاعة الفرصة على الأمة دون امتلاك حريتها .

ولكن ذلك الفقيه تأولها ، وتمحل في تأويله ، وأبعد في تمحله ، ونفذ الى معناها منفذ الريبة ؛ ليخرج منها مخرج السوء .. وهذه ناجمة من الشر إن تُركتْ فلعلّها تنمو ، وإن لم تحسم فلعلّها تأبى على القطع من بعد[47] فسارع الرافعي الى إبدال الشطرة بقوله :

إيماننا ... دين اتحاد للبلاد وهدى

ومع ذلك فان الاستاذ عباس محمود العقاد ادعى «أن الرافعي أخذ عنه نقده النشيد فأبدل»[48].

ولما تطورت الفكرة الوطنية في مصر ، وتحولت حركتها واستدارت السياسة فيها تجرُّ نهضتها ، تطورت فكرة النشيد القومي عند الرافعي كأنه يتلاحق الأحداث أن تضيع على الأمة مرحلة من أدق مراحل إثبات

---

(٤٦) راجع مجلة «عكاظ» و «الديوان» للعقاد واتهامه للرافعي بسرقة نقده لنشيد شوقي .
(٤٧) الأخبار - ١٨ نوفبر ١٩٢٠ م .
(٤٨) الديوان - للعقاد - ج ٢ - أبو عمر : ومن أجل أن يبعد شاهده كتب على الجزء الثاني تاريخاً سابقاً للجزء الأول ..

الوجود ، .. فرأى الرؤيا في منامه ، ولما أصبح ألف النشيد الذي تسابق الطلبة والأدباء والفنانون الى اتخاذه نشيداً قومياً ، فكان من بعدُ نشيد الفتوة في مصر وفرق الكشافة بوادي النيل ، وما يزال صداه يتردد في سماء الكنانة الى اليوم ، وقد سماه شيخ العروبة الاستاذ أحمد زكي (باشا) : نشيد الفتيان ، واحتفل به في توقيع مقالة رافعية تمهد له بما للعرب من شعارات وصيحات ونخوات وتنعت صفة النشيد وهو يردد :

إسلمي يا مصرُ إنني الفدا ذي يدي إنْ مَدت الدنيا يدا
أبداً لن تستكيني أبدا إنني أرجو مع اليوم غدا
ومعي قلبي وعزمي للجهاد ولقلبي أنت بعد الدين دين
لك يا مصر السلامَةْ وسلاماً يا بلادي
إن رمى الدهر سهامَهْ أتَّقيها بفؤادي
واسلمي في كلْ حينْ

وقال : أما حان الوقت المرموق الذي فيه لمصر - والعروبة صوت موسيقي بنشيد شعري تجاوبُ فيه الأمم ؟ كما تحيي الراية بنشرها وخفقانها ! وكما تحيي الأسلحة بعضها بعضاً بمثل أصواتها وقعقعتها ؟ !

أما حان الوقت الذي يحسُّ فيه الفتى المصري بل كلُّ عربي أن يعبر عن قوميته ويفخر بها ؟ فيكون له نشيد يُعبِّر به عن شعوره ويكون له نغمة تدلُّ على رجولته ؟ ! ويكون له كلام يصور نفسه في أقوى شعور وأكمل رجولة ؟ !»

الى أن قال : كان ابتهاجي عظيماً حين ظهر النشيد الجديد ، ولقد

ملأتني إعجاباً وغماراً هذه الحركة الطيبة التي رايتها للطلبة وعملهم على أن يكون نشيدنا القومي ، ونشيد من بعدنا الى من بعدهم»[٤٩] .

وقال محب الدين الخطيب رحمه الله «إنه قد قضى عن أمة العرب فرض الكفاية ، بظهوره في أعظم مظاهر الكمال التي جعلته ممتازاً على كلّ ما قرأته وسمعته من أناشيد ، .. وقال : وفيه مع روعة العربية روعة أخرى مصرية وطنية ، ومع هاتين الروعتين روعة ثالثة هي روح الأمة ؛ التي أنزلها مواهبها وفنونها وحقوقها ومجالي نهضتها من الشرق كله منزلة القبلة من المسجد»[٥٠]

وعاد شيخ العروبة فقال : إن هذا اللحن الحماسي ، وهذه الكلمات الغالية ، وتلك المعاني القومية البديعة ، هي صيحات عواطفنا ، وصرخات قلوبنا»[٥١] .

كما يرى الاستاذ عمر الدسوقي[٥٢] أنه يمثل ما يشترط في النشيد القومي تمام التمثيل ؛ لأنه فيه قوة العبارة وسهولتها ، وفيه حماسة ونخوة ، وقد جاء على لسان الشعب موافقاً كلَّ زمان[٥٣] فهو يعبِّر عن آمال أمة ،

---

(٤٩) النشيد القومي - المطبعة السلفية ص ٦٦ عن جريدة الأخبار
(٥٠) من مقدمته للنشيد
(٥١) النشيد أيضاً - ويذهب العريان الى أن ما فيه من المقالات هو من إنشاء الرافعي أو املائه - من ٣٥٠ .
(٥٢) هو أستاذ الدراسات الأدبية الحديثة ، تلميذ محب الدين الخطيب الأول ، وحفيد الشيخ ابراهيم الدسوقي الكبير كان من افراد الدعوة العربية المعدودين في مصر ، انشأ جمعية الوحدة العربية في دار العلوم بالقاهرة وجددها مع الطلبة العرب في لندن . ولد في مصر عام ١٣٢٠هـ وتوفي في نجد عام ١٣٩٦هـ .
(٥٣) الديوان ج ١ - ٤١ .

ويبثّ في نفس كلٍّ فرد منها الحمية والحماسة ويدفعه إلى العمل ، ...»[54]

غير أن السياسة القطرية في مصر تحت ظلال الحماية والاحتلال والتبعية «أفسدها أهلُها ، ولا فلاح لأمة يلعن بعضُها بعضاً لعناً مقدساً»[55] فقد تفرقت الصفوف وتمزقت الاحزاب ، وتناثرت الطوائف وأصبحت الأحوال لا نتيجة لها إلا بوضع لون جديد على الواقع الموجود من زمن[56] .

ومن أجل هذا اللون الجديد أراد الرافعي الرجوع الى الله سبحانه في تربية الأمة وإعدادها قومياً ؛ لنعيد سيرتها على هدى وبصيرة ، .. فاستجاب لدعوة صفيه محب «الدين» الخطيب في «الشبان المسلمين» متسابقاً مع شعراء العربية كافة للفوز والامتياز بنشيده «شباب العالم المحمدي» وقد صدر قرار الفوز بالاجماع ، وطبع النشيد في كراسة صغيرة وأرسل الى جميع صحف العالم العربي[57] وكان قد استهله بقوله :

ربَّنا إياك ندعو ربَّنا ... آتنا النصر الذي وعدتنا

إننا نبغي رضاك إننا ... ما ارتضينا غير ما ترض لنا

أنفساً طاهرةً طُهر الحَرَمْ ... تملأ التاريخ مجداً وكرم

وافياتٍ بالعهود والذمم ... راقيات للمعالي والهمم

---

(٥٤) في الأدب الحديث - ١٤٩ .
(٥٥) رسائل الرافعي - ١٤١ .
(٥٦) رسائل الرافعي - ١٤٣ .
(٥٧) الزهراء ج ٤ - ٦١٢ .

العــلا .. إن العــلا واجبــات المُسلم
خيرُ عــالم خــلا كان فينــا ينتمي
للعُـــلا فاننــا أمـــة التقـــدم
للعـــلا وهـا أنـــا بحيـــاتي ودمي[58]

والحق أن الرافعي قد حلّق في هذا النشيد الى قيمية ثورية عالية ، لم تكن موجودة في عصره ، وصدق الرأي القائل بأنه الثورة الأدبية تسبق الثورة السياسية والعلمية[59] .

ذلك ان الالتزام بفكرة ، يوحي الى الضمير ما يأخذ بشغاف القلب ، ويدفع في حرارة الأيمان معاني السمو والاتساق ، ويجعل من التضحية والجهاد والمثابرة دعامات ينصر بها العقيدة ، ويسدد في الاهداف ، ويدرك الغايات .

وهكذا كان الرافعي يرتفع قومياً ، ويتسامى فكرياً ، ويسبق في المضمار الاعتقادي العربي ، في وقت كان يضطربُ فيه شعراء مصر وأدباؤها على «الوطنية - القطرية» ما بين محاولة الرجوعية المتفرعنة ، أو التغريبية المتفرنجة ، أو المصرنة» بحال من الأحوال[60] .

---

(٥٨) الزهراء - السابق - الفتح ١٠١ ٤ صفر ١٩٤٥هـ - وقد سقطت إحدى شطرات الأقفال ، ولم يتنبه لذلك أحد ، حتى أتممتها .

(٥٩) يكاد النقاد المحدثون يجمعون على هذا الرأي وقد قال شاعرهم :

ولولا صفاتٌ سنّها الشعر ما درى بُناة المعالي كيف تبنى المكارم

(٦٠) أنظر جريدة «البلاد» البغدادية في ٢٧ تشرين الثاني/١٩٥٧م وفيها مناقشة سعيد العريان في موضوع (الأدب يصنع التاريخ) .

وقد بلغ فيه من القوة الذروة في الدعوة ، ولا سيما في المقطع المردد الذي يقول :

يا شباب العالم المحمدي يعوز الكون شبابٌ مهتدي
فأروه دينكم كي يهتدي دين عقلٍ وضمير ويـد

كما انه نوّع فيه بالوزن ، وبدّلَ القافية غير مرة ، وجاء به موشحاً جديداً مقبولاً ، من غير أن يجور عليها بتصرف أو تمرد ، وحسبه توفيقاً في ذلك[61] .

وكان من حماسة الخطيب واحتفائه بهذا النشيد أن نشر في الفتح الأناشيد المقدمة للمسابقة ، ومنها نشيد الشاعر محمد حافظ ابراهيم :

أعيدوا مجدنا دنيا ودينا وذودوا عن تراث المسلمينا
فمن يعنو لغير الله فينا ونحن بنو الغزاة الفاتحينا

وآخر لأحمد شوقي ، وثالث لأحمد محرم ، وغيرها لمحمد عبدالمطلب ، ومحمود صادق .. وذلك برهانا منه على سمو النشيد وتوفيق الشاعر في معانيه وأخيلته وأسلوبه .

وهكذا يظهر الرافعي متطوراً مع فكرة النضال القومية في شعاراتها وأطماحها مستجيباً لنداء الأمة في أعماقها بارادة التغيير[62] .

كان نشيد سعد - اسلمي يا مصر قد نجح قومياً في مصر من عام «الدستور» الى أن نالت مصر استقلالها بمعاهدة ١٩٣٦م ، بالرغم من محاولة العقاد معارضته بنشيده :

---

(٦١) راجع ساطع الحصري في (الاقليمية) وكتابنا عصر الرافعي .

(٦٢) مما ذكره في هذا الصدد ان الرئيس محمد نجيب كان معجبا بهذا النشيد واراد مرة ان يتخذه شعاراً لاحدى إذاعات الثورة من القاهرة .

قد رفعنا العلم للعلى والفدا في عنان السماء
حيّ أرض الهرم حيّ عهد الهدى حي أم البقاء[٦٣]

... ليجد شبان «حزب الوفد» نشيداً آخر غير نشيد الشبان الآخرين ، ولكنه لم يتيسر له ذلك»[٦٤]

ومن هنا تظهر لنا حقيقة سخرية الرافعي من النظام النيابي والحزبية الوفدية بمثل قوله من قصيدة[٦٥] .

أكرموا «البرلمان» - والشعب فيه أن تعدوا فيه من الشعب «وفدا»

فقد اهتبلها العقاد فرصة ، ولكنه لم يوفق فيها ، وقد سكت الناس عن نشيده بعد خروجه من الوفد[٦٦] .

وعاد شباب «الوفد» يرغبون الى الرافعي نظم نشيد جديد يأتلف مع روح العهد الجديد بعد المعاهدة ، كما أذاعت الحكومة بيانها لمباراة في موضوع «النشيد القومي» فتقدم الرافعي بنشيده الذي يقول فيه :

حُماة الحمى ، يا حماة الحمى هَلُمّوا هَلُمّوا لمجد الزمن
لقد صرخت في العروق الدما : أموت أموت ويحيا الوطن

فقد كان للاستقلال عنده غير المعنى السياسي من الحكم الوطني ، والاعتراف به من «عصبة الأمم» ، وإنما هو في الاستعداد له ، والقوة التي تحميه ، وكم كان جميلاً ورائعاً ذلك الثبات القومي يوم العدوان الثلاثي على هذا الاستقلال بعد عشرين عاماً من تاريخ إذاعة النشيد والتغني به ، فقد أوضح ذلك الثبات معاني قوله فيه :

---

(٦٣) انظر ديوان العقاد ، وراجع ادب الثورات القومية لمحمود صادق ـ ٥٣ .
(٦٤) فقد مات نشيده قبل أن يحفظه الشبان ـ رسائل الرافعي ـ ٢٧١ .
(٦٥) المقطم :
(٦٦) راجع حياة العقاد مع الوفد لمحمد خليفة التونسي . الاعتصام ـ رمضان ١٣٩٤هـ .

لتدوِ السماوات في رعدها   لترمِ الصواعق نيرانها
فلا عاش من ليس من جندها   ولا عاش في مصر من خانها
الى عزِّ مصرَ الى مجدها   رجال البلاد وفتيانها
نموت ونحيا على عهدها   حياة الكرام وموت الكرام

وعلى أن هذا النشيد لم يظفـر بالجـائزة الأولى[٦٧] فقـد وفق فيه غاية التوفيق بمعانٍ لا تعتمد التاريخ والأمجاد فحسـب ، وإنما تشرِفُ على عزة الجانب وكرامة الحياة ، والرفعة والعلاء والسـؤدد ، وما يطلب لحياة الاسـتقلال الحقـة . مما لم يكن في الأناشـيد من قبلِهِ مثل هذه المعـاني : التي ترسـم للمسـتقبل سـبيل الحفـاظ والثبات ؛ وقد عد الدكتور زكي مبارك «صرخـــة الدماء» فيه وثبة من وثبات الخيال التي امتاز بهـــا فن الرافعى الشاعر[٦٨] .

وقد شرّق النشيد فكان أحـد المرددات القـومية في العـراق أيام الانتفـاضات الشـعبية ، والانطلاقات الطلائعية ، ولا سـيما أيام ياسـين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني[٦٩] وما برحت ألحانه الحماسية تحتضن النشيد

---

(٦٧) حياة الرافعي ـ ١١١ وأنظر معركة النشيد القومي في الرسالة ١٦٦ ـ ٧ سـبتمر ١٩٣٦م فقـد كتب للاستاذ محمد ابراهيم المعافري يشير الى سرقة محمود صادق معاني نشيده الفائز م"قصيدة الرافعي : التي مرت الاشارة اليها ، وانه يشرك في مثل قوله :

فلك حيـاتي وفيك ممـاتي   وحبـك آخرتي واليقـين

وليس من توارد الخواطر قوله

بلادي بلادي فـداك دمـي   وهبتُ حياتي فدى فاسلمـي
غرامك أول ما في الفؤاد   ونجواك آخر ما في فمي

فقد أخذ فلم يترك للرافعي بضاعة !

(٦٨) مجلة (الرابطة العربية) ٤٢ - ١٩٣٦م .

(٦٩) العمل التونسي - ٨ نيسان ابريل ١٩٥٧م .

(*) تأمل البية ولاحظ انقلاب الاوضاع ، لتدرك لماذا ابعد السـادات هذا النشـيد عام الوحـدة ١٩٥٨ ! .

الوطني في الشام مند عام الاستقلال[70] وإن كان عدنان مردم - عفا الله عنه - قد حاول تغيير بعض كلماته ليخلص «سوريا» في مثل قوله :

حماة الديار عليكم بلام أبت ان تذلَّ النفوس الكرام
عرين العروبة بيت حرام وعرش الشموس حمى لا يضام

كما غرّب فكان نشيد الشبيبة العربية في الشمال الافريقي ، وبقي سنوات النشيد الوطني التونسي ، حتى نبهّ على كلمات في بناء الهرم وردت فيه أحد كتاب الحزب الدستوري بعد انقلابه على الباي عام ١٩٥٧ ، فدعا الى اطراح النشيد لمصريته» وان لم يزل من محفوظات الطلبة هناك وقد كان لهذا النشيد أيام العدوان على الثورة العربية في مصر هتاف متواصل من الاذاعات العربية بعامة[71] ، وقبل ان يندلع نشيد (الله اكبر) الذي وفقته الألحان . وقد جرَّ الروح العربية إليه ، وتطلعت الى مصر الثورة بكلِّ قواها) .

لقد مرَّ على الثورة العربية المعاصرة ربع قرن ، وما فيها من قيم ووسائل وأهداف كانت من بين شعارات أدب الرافعي وأناشيده التي دعا فيها الى إرادة التغيير والتحول والبناء ، وقد تأثر بها الشعراء الشبان في الجيل اللاحق ونسجوا على منوالها أناشيد وأغاريد ذاعت شهرتها في

---

(٧٠) ياسين الهاشمي - من رجال النهضة العربية والحكم العربي في الشام والعراق ومن أفراد العرب في العصر الحديث ، أطيح بوزارته الأخيرة في العراق بانقلاب غادر استخدم الجيش وتوفي كمداً في دمشق ودفن بمقبرة صلاح الدين .

رشيد عالي الكيلاني - من رجال السياسة والقانون ، اتخذت إحدى الحركات القومية اسمه عنواناً لثورتها ، والتزم بها قيادة ومسؤولية ، وطوّف في البلاد مبعداً فاراً ، ولما عاد الى العراق اتهمه القاسميون بالمؤامرة وما تزال مذكراته مطمح أنظار المؤرخين يترقبونها بصبر .

(٧١) الموضوع كبير حاول أحد الاخوان دراسته برسالة جامعية ، ولكنه لم يوفق في استيعابه .

الآفاق وعرفت اسماء : فخري البارودي ، وابراهيم طوقان وشاكر علي ومنير الذويب ومحمود صادق وعبدالله شمس الدين وغيرهم[٧١] .

كما عرفت أناشيد الشباب و «الفتوة» و «ألسن العلا» و «موطني» و «أنا العراق» و «جندالله» وغيرها كثير[٧٢]

ولكن هل وفى ذلك كله بشاعر يترجم للأمة معاني (النشيد القومي) في قصيد جديد يحفظه الشبان ، وترفعه الألحان ، وينتظم مع الأهداف الرفيعة في الأقطار العربية كلها ؟ !

وهل تردى الشعر الى الدرجة التي تلتمس فيها «طقطوقة» عامية لتكون النشيد القومي ؟![٧٣] .

رحم الله الرافعي ، لقد كان نشيد القومية ، وشاعر الروح العربية الثائرة وجداناً وبياناً .

أما الباب الآخر في هذه الأغاريد الرافعية ، فيشتمل على تلك الأغاني والموشحات التي حاول غير مرة أن يتمها في ديوان «أغاني الشعب» «فيضع فيه لكلّ طائفة أو جماعة من الشعب أغنية عربية تنطق بخواطرها ، وتعبرّ عن أمانيها[٧٤]

ومنها «أغنية الفلاح في الصباح» التي أقترح عليه نظمها الدكتور يعقوب صروف صاحب مجلة «المقتطف» التي كان من اهدافها تجديد العربية وتقريبها من العصر ، .. وقد تلق الرافعي الاشارة بإكبار ، وانتقل الى واقع الفلاح في الصباح يدعو بنيه العديدين - تلك النقطة العمرانية فيهم - على حد تعبيره

---

(٧٢) صدرت في مجموعات في فترات زمنيه اهمها : اناشيد العروة الوثق ، والاناشيد العومية الوطنية ..

(٧٣) عبدالرحمن البزاز - العربي - ٤٣

(٧٤) العريان - ٨٤ - وانظر الرافعي - الاهرام ٧ نيسان/أبريل ١٩٢٣م وتمسكه بإسم الديوان .

هات يا «محمود» لي المحراث حالا ... وضع الآن على الثور الحبالا
يا «علي» قم فخذ هذي الجبالا ... للسباخ .. قارب الصبح الطلوع

* * *

أنت يا «خضرة» قومي فاحلبي ... يا «سماحي» قل «لزينب» اذهبي
وخذي خبزاً ومِشاً لأبي ... ثم أرسل «هانما» ترعى القطيعِ

ونجده فجأة قد أندمج بشخصية الفلاح ، فراح يفكر معه مستطيراً من الدَّيْن والاقطاع ، فيدعو الله أن يكون في عونه على المالك والمرابي :

يا إلٰهي كن بعوني واكفني ... شرَّ أطماع «الخواجا» واهدني
للرضا : وبالقنوع أغنني ... عزَّ من كان غنياً بالقنوع

وبذلك يكون من أوائل من التفت الى هذه الناحية الدقيقة في الاقتصاد القومي ، من أدباء العربية المحدثين . فقد كانت خيرات البلاد محل أطماع وشراهة من أولئك الأغراب الذين يعيشون في الشرق العربي وهم وبال على الأمة .

ثم نظم نشيدا «الفلاحة المصرية» فكان أكثر توفيقاً في اختيار الوزن ، وتنويع القافية مع اللازمة ، لمناسبة النشاط والسرعة التي تتحلىٰ بها فتاة الريف المصرية ، والخفة التي تتناول بها مسائل الحياة اليومية ، بخلاف الفلاح الذي عركته الأيام بتجاربها القاسية ، وأودعته من أناتها الصبر الجميل ، والانتظام مع كفاح الحياة ، فزوجه منبهة له أبداً ؛ تدفعه في سبيل الكد والكدح ، ..

(٧٥) ديوان الرافعي ـ ج ٣ ـ ١٤٠ الهاشمي ، والسباخ : السماد الحيواني ، والمش : جبنة مغمسة بالملح والخواجا : السيد بلغة المستوطنين الفرنجة بمصر ـ وهي تطلق على غير المسلمين عادة

وعلى لسانها يقول الرافعي :

الفجرُ قد غَبَّر ثم لاحا والديكَ قد أذّن ثم صاحا
وأطلقت حمامتي الجناحا والكلب بالباب غدا نبّاحا
واشتاقت البهائم السُراحا هيا الى غيطك سُقْها : حا ، حا[76]

أما أبناء الامة فهم في حال من طلاب العيش يكافحون فيها الجهل والمرض ، ويساهرون النوازل ، وكم منهم من ذاق مرارة الحرمان ، ولذعته الحمى ، وأمضّ به الفقر والصبر .

الرافعي الأديب الذي شاطر «المساكين» دموعهم وواساهم في حيواتهم يحمل قلباً إنسانياً رفيعاً ملؤه الرحمة ، فهو يشق معهم في زمراتهم وصبواتهم .

لقد كان المرض يداهم أطفالهم ، ويأخذهم بشكل لا يرحم المعافى منهم ، ولا يهمل الضعيف ، ويساهرهم الليالي ، وكم من ليلةٍ عاناها بنفسه ، أو مع أولاده أو مع أبناء ذلك الجيل المسكين ، يقول في احدى تلك الليالي :

يا ليلةً عُطِّلَ فيها المدار ظلامُها فحمٌ ، وفي القلب نار
وشهبها طائرة كالشرار وَيْحي - متى يُطفيك نهرُ النهار ؟![77]

ولعلَّ المريض كان طفله هو ، وإلا فمن أين كان للشعب أن يدرك مثل هذه الاستعارة البليغة : في أن النهار نهر بضيائه ، يطفئ ظلام الليل الحالك ، ونار القلب المتأججة في كانونه ؟ !

---

(76) ديوان النظرات - 53

(77) النظرات - 69

ولكنه كالذي يستدرك ، ويلحق أنفاسه بقوله :

... فـرةً أنظـرهُ نظـرةً ومـرّةً أُتبِعُهـا زفـرةً
ومـرةً أعقبهـا عَـبرةً وما ترى يحلو بهذي «المرار»

والتورية ظاهرة فواحـدة المر جمعهـا «المرار» وهو جمع المرات هاتيك أيضاً[78].

★ ★ ★

أما موشحته في «شبان العصر» فهـي تكاد تؤلف فصـلاً في الاجتماع المتحول ضياعاً بين القيم والعادات القـاهرات ، وهي أيضـاً من هذه الأطروقات التي يتوخى فيها الحكمـة بنعت الواقع واستشراف التجـربة والتنبيه على مكامن الخطر . لا سيما في مثل قوله

.. ومن كأس الى كأس تُدارُ عليه يَضيعُ فَدّانٌ ودارُ
وما أبقـاه ـ إن أبقْ القمارُ تضيّعـه النـدامى والمـدام[79]

ويوم اكتشف «أم كلثوم» وغنت له قصيدة «عصـفورة» أراد أن يحيي مع صوتها فكرة أغاني الشـعب ، فنظم لهـا «نشـيد الربيع» الذي يقـول فيه :

غرّدت طيرُ الرُّبا فغردي في فؤادي يا عواطِف الشباب
جددي كالروض عمري جددي والبسي في النفس الوان السحاب

ومن قوله فيه أيضاً :.

من خدود الورد من ثغر الزهر قبلات في تحايا ، في ابتسام

(78)النظرات - ٨٢
(79) النظرات - ٨٣

من نسيم الليل من برد السحر عادت الأيام برداً وسلام[٨٠]

وأغرب من ذلك أن دعوته للحب قد لازمته في هذه الأغاريد ، فهو يريد للشعب أن يتعلم الحبّ على طريقته في التسامي والاخلاص ؛ الذي عرف بها الحبُّ عند العرب ، فهو يدعوهم لتجديد حياة الحب فيهم ، ويفاصحهم في ذلك ، ويريد لهم أن يكتووا بناره بمثل قوله :

يا قلبُ مالك والهوى أوما اكتفيت اسىٍ وهم
تهوى بها القمر الذي ما حوله إلا الظُّلَم
يا قلب تشكو ظالماً من عَدلِهِ ما قد ظلم
يجري عليك بما جنى وتعدُّ أنت المتهم[٨١]

ومما هو جدير بالذكر والملاحظة ، أنه كان يلتفت نحو هذه الأغاريد كلّما داهمه خطر الحبّ الذي لم يكن يغادره يوماً ، وقد كانت أغانيه هذه إبان العاصفة الهوجاء من حب «فلانة»[٨٢] الذي أخرج فيه «رسائل الاحزان» و «السحاب الأحمر» .

x x x

---

(٨٠) الاهرام - ١٥ آذار ١٩٢٣

(٨١) الأهرام - ٢٣/آذار ١٩٢٣

(٨٢) راجع كتابنا - الأديب الامام -

وكانت للرافعي أغان وموشحات نظمها في فترات متباعدة من حياته الأدبية ، مبثوث بعضها في دواوينه وكتب الحب التي أنشأها كأوراق الورود ، .. ومن تلك الاغاريد قوله في معنى اقتضاه :

الصبر لا يجدي من بعد ذا البعدِ مع الملال

وليس للصدِّ وحُرقةِ الوجدِ سوى الوصال[٨٣]

ومنها أرجوزة في «قلب المرأة» تسرع فيها المعاني في اسراع ذلك القلب بالخفق بالحبِّ :

وقلبُ ذاتِ الحُسن في اعتباري صحيفة من صحف الأقدار

أكثر ما تكتبُ في احمرارِ مقادها سرٌّ من الأسرار

يجمع بين الصفو والاكدار[٨٤]

ويريد باللون الأحمر ، الحسن ، وأكثر ما يراق الدم بسبب النساء ، وقد ساق في هامش الصفحة خرافة هندية : خرج منها بأن المرأة خلاصة الخَلْق ، وأن من الفطرة فيها هذه الطباع التي تبدو متناقضة[٨٥].

ويرى في «نور الكهرباء» أغنية أخرى ، تستطرد مع الحياة العالمية في أول القرن ، فيقول :

يا آية في صفحة الليالي أقام منك شاعر الجمال

تتمة الدليل للعذّال

---

(٨٣) ديوان الرافعي ج٢ - ٨٧

(٨٤) ديوان الرافعي ج٢ - ٥٢

(٨٥) ديوان الرافعي ج٢ - ٥٢ الهامش .

وأنت ما بين الزمان الخالي وبين آيات الزمان الحالي
معنى الرجـــا في لفظـــةِ المحـــال[٨٦]

وله موشحة بعث بها الى سليمان البستاني معرب «الالياذة» اليونانية وفيها يقول :

سرُّهُ فيك قد انهتكا فاذا مرَّ النسيم شكا
ناحلٌ لولا تنهده وفؤاد فوقه يده
ودموع منه تسعده ظنه العذال قد هلكا[٨٧]

ويزفّ عروس صديق له بهذه الانشودة :

يا عروس الطهر فوق السُحب ظاهراً منها وشاحُ الذهب
في التماع النيرات الشهب في ائتلاف الخمر أم في الطرب
في ازدهـــاء القطـــر فـــوق العـــشب

أرقبي الشمس لدى مشرقها وانزعي الاكليل عن مفرقها
وخذي الصافي من موقفها قبل ان تستر من رونقها
بـــرداء الأُرجـــوان القَشـــب[٨٨]

أما موشحته «على البعد» فقد نظمها أصلاً للغناء ولتسمع في

(٨٦) الديوان ج٣ - ٧٨
(٨٧) الديوان ج٣ ١٢٠
(٨٨) الديوان ج٣ ١٥٣

٦

«بحمدون»[٨٩] ويقال أن سلامة حجازي كان قد غناها ، ومطلعها :

يا نسيم الفجر يا طفلَ الرُّبى   لاهياً فوق أراجيح الشُّجَر
كلّما اختال على الأرض كبا   فترامى بين أحضان الزهر
رضي الروض عليه أم أبا   فهو لم يشكو ، ولا قطُّ اعتذر
خذ لمن. أهوى على البعد نبا   إن جهد الشوق في البعد خبر

.. وأنشودته في «حمى ليلى» بعد معروفة ، إذ ما فتئت فرقة «إخوان الصفا» تغنيها من إذاعة فلسطين في القدس الى ما قبل النكبة ، ومطلعها :

يا حمى ليلى ويا ليلى الحمى   هل لشمس غربت من مطلع ؟

وكذلك «زفراته» التي نظمها لتنشد في حفل تقيمه جمعية الاحسان بطنطا ، قال :

يا عِنانَ الصَبْرِ والقلبُ جواد   كيف لا تقطع بي هذا البعاد ؟ !

وفيها معنى طريف يقول :

يا ضميري : ما أرى الأمر لنا   ليس في ضمائر الحبّ (أنا)
زالمُنى ليست تُعدُّ لي مُنى   أترى العاشق من حيّ الجهاد ؟ ![٩٠]

---

(٨٩) بحمدون - مصيف في جبل لبنان ، كان للرافعي اليه مغدى ومراح ، وفيه عرف «ليلى» وأرسل اليها بعض «عبرات اليين» رسائل وأشعارا .
(٩٠) الحال - ١٣ شباط / ١٩٢٩م .

هذا الى قصائد ومقطوعات أخـريات ، مبثوثة هنا وهناك في شـتيت الصحف والمجـلات ، وأوراقه الخـاصة التي عبث بهـا البلى وتناقلتهـا الأيام .

وفي هذه الأغاني الشجية ، والأغاريد العظيمة العذبة ، والأناشـيد القومية تظهر روح الرافعـي الشـاعر العـربي : الذي كان عنوان الفكر الثابت على العروبة في مصر أيام الاحتلال والتبعية ، وحسبه فخـراً تهمة شانئيه له بالتزامه «القومية العربية» صفةً وأدباً[٩١] .

وكأن تلك الروح هي التي ينشدها الناس في افراحهم ، ويتغنون بهـا في أمجادهم وأطماحهم ، ويتبارون بمعانيها في غدّوهم ورواحهم ، ويتقابلون عندها في آصالهم وأسمارهم ، ؛ حلوة الكلمات ، رائقـة الأسـلوب منتظمة االمفردات ، صـحيحة اللفـظ ، موسـيقية النغمات : تفتق الاذهان بتدفق معانَيها ، وتصفو بالقلوب حباً وكرامة بحسن مبانيها .
ما أحراها ان تحيا مع اللحن من جديد فتدور بها الألسنة متفـاصحةً تتغنى ، إذن لقـوّمت الالسـنة المرتضـخة للكنات العــامية والأعجمية ، ولأعادت لناشئة العرب فصحاهم ، ومكنت لهم من رفعـة الذوق وحسـن البيان ، «خـلافاً للأغاني التي تفسـد الذوق واللغـة ، وكلّهـا ضرر على المعـاني والأخـلاق ، وعلى أذواق الناس ومواجـدهم ، يكتبهـا من لا يدركون جلال الفن»[٩٢].

(٩١) راجع الهلال - يناير ١٩٢٤م
(٩٢) الأهرام ١٥/آذار ١٩٢٣م

وفي جمعها بهـذا الديوان وإخـراجها انعـطافة تاريخية عائدة تعمل على عروبة الثورة في مردداتهـا وشعاراتها وأناشـيدها ، لان تنتصر للعقيدة القـومية باحـلال الفصـحى ـ عنوان وحـدتنا ، ومرقى اجتماعنا ، ومجلى أرواحنا في أهدافنا وغاياتنا ، محـل «العـاميات» المبتذلة ، والطقـاطيق المرذولة التي كادت مفرداتُها تفرغ حتى من بعض ما بقي فيها من معانٍ بعد كثرة التداول والتداخل والاستعمال .

أرجـو أن أكون قد أديت بعض ما يجـب عليَّ تجاه أمتي من بعث التراث العربي ؛ الذي يعمر العروبة على هدى وبصيرة ... ؟

د. مصطفى نعمان بدرالدين

الباب الأول

أغـــاريـــد التربية الفـصحى

مناغـــاة

طفلتي في العُمر مَرّتْ مِن سِنيها بِأثنتينْ
ليستا فيما غدت تَعْقِلُ ، ... إلا ضِحكتينْ
... جئتُها يوماً فَألقَيْتُ عليها قُبلَتينْ
فَأمـالَتْ عنقـاً آلمْتُهُ مـن غمزتينْ
ومَضتْ غضبي وقالت :
«باي يا بابا باي يا بابا»(١)

أعتابـاً يـا ابنتي أم ذاكَ مـن غيظ الحبيبَهْ
بدأتْ دنياك منذُ الـ يومِ والدنيـا عجيبَهْ
وغريبٌ منكَ أن تـد ري معانيهـا الغريـلاغبه
نجمةٌ أبعدُ مـا تُلْقي إذا لاحت قريـبَـه
مثلُها حُبّك للبا با ومعنى :
باي يا بابا

(١) يراد بكلمة «باي» عند العامة - واحياناً ينطقونها «ياباي» أو «أياباه» النكرة ومعنى النفرة ، فان اصلها من نداء الاستغاثة . «يا أباه» فهذا المعنى الذي يظهر قريباً من اللفظة هو أبعد من حب البنت لأبيها من النجمة التي تنوح قريبة - وهي ما هي في بعدها ! ...

نَغْمةٌ كالبلبلِ استَطْلَ على الـوَرْدِ فَـغَنَى
أتمنّى أن تعيـدي مثلَهـا إذ أتمنّى
قد غدا يُنهبُ في الدُّنيـا العنـا لفظُك عنّا
وأرى الشعر فنونـاً صرتِ لي منهنَّ فنّـا
حكمةٌ ما مثلها الحكمَةُ عندي :

باي يا بابا

لو أتتني كلُّ بُشرى مِنْ أنحاء البلاد
أو أتاني السَّعْدُ يوماً هاتفاً بأسمي ينادي
أو سعى بالمـدحِ والتمْجيدِ لي كلُّ العبـاد
أو شدا في كلِّ أرضٍ بقريضي كلُّ شـاد
لم يكُنْ أحلى بسمعيْ كلُّ ذا من :

«باي يا بابا»[٢]

(٢) من أسى ما اذكره هنا أنه رحمه الله لم يبق في سمعه من صوت أولاده غير لغسى وهيبه ، ثم إتصامت أذناه .

أرجوحة سامي[1]

إنعَمْ بها أرجوحةً يا سامي   تنامُ فيها أهنأ المنامِ
في قطعةٍ من روضة الأيّام   يأوي إليها طائرُ الأحلام
في وكرَيْ النَهارِ والظلامِ   على غُصونِ العُمر النوامي
أزهارها ما زلن في الأكمام   قامَتْ على ذاكَ الغدير الطامي
في شاطيء المستقبل البسّام   كأنها خواطرُ الأحلام

★ ★ ★

ما هِزَّةُ الثناءِ في الكرامِ   واليدِ في الأشواق والسلام
وصَلَفِ المليكُ في القيامَ   وطرب. الشـاعر للالهام
كما ارى أرجوحة الهُمام   تهتزُّ فخراً بالفتى المقدام
بملـك البيـان والكـلام   وصاحب العرش من الأقلام

وقـائـد الجيـش مـن الأعـلام[2]

★ ★ ★

(١) هو الدكتور محمود سامي الرافعي استاذ التغذية والصناعات الزراعية بكلية الزراعة بالقاهرة كان وراء عملية التصنيع الزراعي في مصر والعراق والشام والمغرب في عمل دؤوب لا يكل ، وهوالذي رعى اول مزرعة مثالية في «بهتيم» وكان خبيراً عالمياً قبل ان يحال على المعاش .

(٢) الصلف : مجاوزة قدر الظرف ، والمراد ، وماهزة صلف المليك ، وماذا يأمل الأب في ابنه غير أمثال هذه الشخصيات من الادب والعلم والسيادة ؟ !

يا سامياً وأنت في الأقوامِ   من «رافعي» الحكمة في الأنام
من عترة الخليفة الأمام   من «عمر» المعزِّ للاسلام[3]
إنَّ جميعَ السادةِ العظام   اهل العلى والهمم الجسام
ومن أضاؤا أفق الدوام[4]   لم يولدوا أكبرَ في المقام
منك ولا في العقل والاجسام   فلا تكن اصغرهم يا «سامي»

(٣) من فضل الله على الاسرة الرافعية ان نسبها يتصل بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، واعتداد الرافعيين بعمريتهم لا يعدله اعتداد حتى عند بني عمومتهم من العقيليين والعمريين في العراق والشام .

(٤) المراد بالدوام الخلود ، ويريد به ابطال التاريخ الخالدين بأقوالهم وافعالهم .

ليلة الساهر على الطفل المريض

يا ليلةً عُطِّلَ فيها المَدار
ظَلامُها فحمٌ وفي القلب نار
وشهبها طائرةٌ كالشرار
وَيْحي - متى يطفيك نهرُ النَّهار

★ ★

قد رَفرفَ النومُ ، فيا نومُ طِرْ
ترقُبك الاجفان أنَّى تَسْر
وانزلْ على روض الشباب النِظرْ
هناكَ احلام الهنا واليسار

★ ★

هنالكَ النجمُ الذي من سناه
تضيء في ظلمةِ قلبي مُناه
نضنُو سُقامٍ كلما قال : آه
أحسست في قلبي دويَّ انفجار

★ ★

يا نومُ : كَمْ يُرجى خيال الحبيبْ
وذا حبيبي كخيـــال عجيب
وا حيرتي بين الضنى والطبيب
وبينَ آلامِ الرجـــا والحــذار

★ ★

فـــرةً أنظـــرُهُ نَظْـــرةً
ومـــرةً أُتبعهـــا زَفْـــرةً
ومـــرةً أعقبهـــا عَـــبْرةً
وما ترى يحلو بهذي «المرار» ؟ !

★ ★

وكلُّ يومٍ أتراءى غدا
ولو غدا العمرُ جميعاً فدا
أحسُّ ـ بالآمال نبض المدىٰ
وحيلة الآمـــلِ في الانتظار

★ ★

أنظرُ للطفـــلِ فلا أصبرُ
كأنَّ عيني في الذي تنظرُ
تحوّلت قلباً غدا يشعرُ
فكلُّ لحـــظٍ خـــاطرٌ يستثار

★ ★

أنظرْ مـــا يُبقيه ضنٌ الضنى
انظر مـــا يبديه فن الغَنا
أنظر مـــا تلقيه عين العَنا
مـــن قَطَرات الوعـــظ والاعتبار

★ ★

يا مُضني الطفلِ بـــآلامِهِ
ولم يزل في مهد احلامه
تُعِدُّ ذا الطفلَ لأيامِهِ
أم هـــذه تذكـــرةٌ للكبـــار

★ ★

يُكابدُ الهمْ وهُمْ مثلُهُ
لكنهم ليس لهم عقلُهُ
وراحةٌ للمُبتلىْ جهلُهُ
وسائس الداء كجهـــلِ الكبار

★ ★

وقد يُغَرُّ المرء حتى يرى
أن الورى إن عُدَّ فيهم ورا
فما يرى في مرض أصغرا
أوهامه إلاّ معاني احتقـــار

★ ★

والمرءُ يهوى العيش لكنَّهُ
يترك ما قال وما ظنَّهُ
فحسبُنا موعظةً أنَّهُ
نـــال اختيـــاراً وتخلىٰ اضطرارا

★ ★

★ ★ ★

كن دائماً لمصركَ

اللازمة :

يـا ابني ويـا ابن مَصْرِ   كنْ دائمـاً لمصركَ

★ ★

أنت ابنُ مصر وأبني   وسـعدُها وسـعدي

أبنيكَ حينَ أبني   تـفي لها بوعدي

أبنيك من ضميري   فلتُعطِها ضميرك

ولتحيى يا صغيري   حتى ترى صغيرك

جمـال أهـل عـصرك[1]

★ ★

وأكبر وقـلّ بـلادي   يـا فرحـة . الرجولَـهْ

واكبر وقـل أجـدادي   يـا عـزة البطولـه

(١) من طـريف ما أذكره في هذا الصـدد ، ان هذه المرقصـة في ابنه عبدالرحمن ، الذي دخـل الكلية الحربية ، وتخرج مع الضبـاط الاحـرار فكان من رجـال جمال الأدنين ، وقاد شرقي القـاهرة والسـويس ايام العدوان الثلاثي ، فلم تقترب من قطعاته طـائرة ولا باخـرة ، .. غير انه اختلف مع عبدالناصر بعد ذلك فجابهه بالحقائق التي وقف عليها ولكن بعد عقد من السنين ! .

فالمجـد مـن نصيـبي إذا غـدا نصيبـك
ولتحيَ يـا حبيـبي حتى تُـري حبيبـك
جمـال أهـلِ عـصرك

★ ★

أنتَ دمـي فصُنـهُ للدفـعِ عـن بـلادك
أكـرِمْـهُ لا تخُنْـهُ واجعلـه مـن أمجـادك
يـا حبّـةَ الفـؤادِ يسـلَمُ لي فـؤادك
يـا زينـةَ الاولاد عـسى أرى أولادك
جمـالَ أهـلِ عـصرَك(٢)

★ ★

★ ★ ★

---

(٢) لقد تخطف الموت الرافعي قبل ان يتم عبدالرحمن الدراسة الحربية .

نـــدى الــورد

ندى الوردِ على فُلّكْ كَسَفْتِ الوردَ والفُلاّ
ومن غصنكَ من ظِلّكْ كسفت الغصن والظِلاّ
فما أحلاكَ في دَلّكْ ومن علمُكَ الدلاّ ؟
وكُلُّ الحُسن في كلّكْ فربِيّ يحفظ الكُلاُّ

★ ★

الا يـا حبّةَ الحُبِّ ويـا إنسانةَ الأنسِ
وروحَ القلبِ في القلْبِ ومعنى النفْس في النفسِ
وثغرَ اللؤلؤ الـرطبِ ولحظ المـاس في الشمس
يعيشُ الحسنُ في شكلِكْ فما أحلى ، ومـا أحلىْ

★ ★

فكوني دائمـاً حُسناً بأعـمالك في النـاسِ
ومن أخلاقك الحُسنى أضيئي ضوء نـبراس
على الالمـاس مـا اتى كهذا النـور في المـاس
ومن فَضلك من فَضلك أرينـا المرأة الفضلى[1]

★ ★

---

(١) لعلّها في ابنته هزنبه التي تحفظ له ذكراه . وتعدُّ كلها فيه وهي فُضلى بناته جميعاً عملاً دؤوباً نسوياً وانسانيا .

نشيـــد المدرســـة

مجـــداً. مجـــداً مـــدرستي   مدرستي مجـــداً مجـــدا
عن علمي عن تربيتي   مدرسي حمـــداً حمـــدا

★ ★

منك سيعرفني زمني   في الأبرار فتى برّا
منك سيأخذني وطني   في الأحرار[1] فتىً حُرا

★ ★

عهدُ الله لمدرستي   رُجلاً بَطَلا أن أغدو
قسماً قسماً مدرستي   عن ذا العهد فلا أعدو

★ ★

أنا تمثالٌ في أدبي   لك في الناس وفي علمي
فرضٌ حبُّك مثلُ ابي   فرضٌ حبّك كالأمّ

★ ★

روحي منك على زمنٍ   يُبدي منها لي سَعدي
يا روحي فَدّي وطني   يا روحي وطني فَدّي

★ ★

(١) راجع ما سبق ـ وصدق الشاعر :

ولولا صفات سنها الشعر ما درى   بناة المعالي كيف نبني المكارم

عهدُ الله لمدرستي رجُلاً بَطَلا أن اغدو
قسماً قسماً مدرستي عن ذا العهد فلا أعدو

★ ★

★ ★ ★

بنـــت النيـــــل[1]

اللازمة :

وادينـــا وادينـــا كصفــــوِ النَّـــــدى
يهدينـــا يهدينـــا طبـــاع الهـــــدى

★ ★

نُرضيـــــك نرضيـــك يـــا مَــــصرَ المُنىْ
نفديـــك نفديـــــك أيـــا أمُّنـــــــا

★ ★

اللازمـــة

مَنْ مثل بنت النيــــل في طبــعِها الكــــريم
وصــبرها الجميـــــل في العمـــل العظـــيم

★ ★

اللازمـــة

---

(١) راجع ما سبق - في المقدمة .

يـا بنتَ مِصرَ هاتي معجـــزةَ الأهـــرامِ
لعزّةِ الحيـــــاة بالعزمِ والاقـــــدامِ

★ ★

اللازمـــة

بالعلم والثبـــاتِ وبالهـــدى والديـــــن
وكــــــلُّ آتٍ آتي يـــا ربّنـــــا آمين

اللازمـــة

★

★ ★ ★

البـــاب الثـــاني

الأناشيـــد القومـــية

بــــــــــلادي (*)

بلادي هواها في لساني وفي دمي
يمجدّها قلبي ، ويدعو لها فمي
و خير في مَنْ لا يحبُّ بلادَهُ
ولا فى حليف الحبِّ إن لم يُتَيَّمِ [1]
ومن تؤوه دارٌ فيجحدَ فضلَها
يكُنْ حيواناً فوقَه كلُّ أعجمِ [2]

★ ★

ألم ترَ أن الطيرَ إن جاء عُشَّهُ
فآواهُ - في أكنافه يترنَّم ؟ !
وليس من الأوطانِ من لم يكن لها
فداءاً - وإن أمسىٰ إليهن ينتمي

(*) من أشهر المحفوظات في مدارس الدنيا العربية في المشرق والمغرب . أغار عليها الشاعر محمود صادق بنشيده الذي فاز بالجائزة الأولىٰ وقوله :

بلادي بلادي فداك دمي وهبت حياتي فدى فاسلمي
غرامك أول ما في الفؤاد ونجواك آخر ما في فمي

فاذا أبقىٰ من المطلع ؟ ! أنظر الرسالة - ١٦٦ ، ١٦٨ للسنة الخامسة ! ورحم الله شوقي حين يقول :

أخذت فلم نترك لقيس بضاعةً سرقت لعمري الذئب والشاة والشعرا

(١) التتيم : من درجات الحبّ التي عَرفها ابن حزم الاندلسي في «طوق الحمامة» .
(٢) الانسان حيوان ناطق ، وغيره من الحيوانات أعجم لا ينطق .

على أنها للناس كالشمس لم تزَلْ
تضيء لهم طراً وكم فيهم عَمِ
ومن يظلمِ الأوطان أو ينسَ حقَّها
تجِئْهُ فنونُ الحادثات بأظلمِ
ولا خير في مَنْ إنْ أحبَّ ديارَهُ
أقامَ ليبكي فوقَ رَبْعٍ مهدَّم
وقد طُويت تلكَ الليالي بأهلِها
فمن جَهِلَ الأيامَ فليتعلَّمِ[3]
وما يرفع الأوطان إلا رجالُها
وهل يترقّى الناسُ إلا بسُلَّمِ ؟

★ ★

«ومن يك ذا فضلٍ فيبخلْ بفضلِهِ
على قومِهِ يُستغنَ عنه ويذمم»[4]

---

(٣) هي الليالي التي كانت آيةُ حب الوطن فيها أن يبكي عليه أهله بعد خراب ! ..
(٤) هذا البيت من معلقة زهير بن ابي سلمى المزني ، ومكانه هنا حياة جديدة للشعر العربي في مثل هذا التضمين الطريف .

حمـــى النيـــــل

الدور :

يا حمى النيلِ الأمين لكَ في قلبي حنين
لكَ إخلاصي المتين وهوى الأوطان دين

★ ★

مصرُ يا خيرَ وطن مِصرُ يا أمُّ الزمن
لَك من غير ثمن كلُّ عمري الثمين

★ ★

الدور

مصرُ يا أرض الهرَمْ أنت مدفَـــن الأمم
أنت قبرُ من ظَلَمْ من يَدِن أهلَك دِين

★ ★

الدور

أيُّ جبارٍ قدير بعد ذا العصرِ المنير
يمنعُ الشعبَ البصير أن يرى الحق المبين

★ ★

الدور

من يَصِدْ نجم السُّها إذ يراه تحت ما

لا يصدُّ غير الدما أمَلَ الشعب الحزين[1]

★ ★

الدور

عِزُّ مصر غايتي حبُّ مصر آيتي

فلترفـــرف رايتي ولهـــا مني اليمين

★ ★

الدور

رايتي بنتُ الهلال فوق هامات الرجال

مثله فوق الليال خالداً طول السنين

★ ★

الدور

قد نهضنا من ظـــلام بعد ما طـــال المنام

للأمـــام للأمـام للأمـــام فلنا الحـــقُّ ضمين

★ ★

الدور

---

(١) يشير الى حادثة «ونشواني» في شبين الكوم ، وكان قد قصدها ضباط من الانجليز المحتلين يصطادون الحمام . فأصابت نارهم أمرأة من القرية ، وأحرقت بيدراً (جرناً) فأثار هذا الطيش ثائرة الأهلين ، الذين تصدى لهم الانجليز بأسلحتهم ، فقتلوا شيخ الخضراء ، ودافع الناس عن انفسهم بالحجارة ، فشجّ رأس أحد الضباط ، ولاذ من معه بالفرار فأصابتهم ضربة الشمس تسببت في موت واحد منهم .

وقد أراد الانجليز البطش بالمصريين فقضت محكمة لهم باعدام أربعة من الأهلين وسجن سبعة عشر . غير أن الزعيم مصطفى كامل أعلنها ثورة على الاحتلال . يظاهره فيها الفكر العربي بأدبه وفنه -راجع عبدالرحمن الرافعي / مصطفى كامل ـ ١٩٧ .

أُذكــروا الماضي ولا تهملــوا المستقبــلا
أولاً فــــــأوَلا ولنــــا الله مــعين

★ ★

الدور

★ ★ ★

النشيد الوطني

إلى العُلا إلى العُلا بني الوطَنْ إلى العُلا كلُّ فتاةٍ وفتىً
إلى العُلا في كلِّ جيلٍ وزمَنْ فلن يموتَ مجدنا كلاَّ ولَنْ

★ ★

إلى الأمام للأمام للأمام[1] يا مصر والهمة تدفعُ الهمام
لمصرِنا عهدٌ لمصرنا ذمام لمصرنا على بني الدنيا المِنَنْ

★ ★

مِصرُ العُلومِ والفنون من قِدَمْ أيّام لم تَثْبُتْ لدَولةٍ قَدَمْ
أيامَ علمُ غيرِنا دمعٌ ودمْ وما سوى توحُّشِ العالم فـن

★ ★

رسا أبو الهوْلِ ركينــاً وربَض ربضةَ جبّارٍ على الأرض قَبَض
فالهول كُلُّ الهول منه لو نَبَض فهمُّ فاستعدى فزلزل الزَمَنْ

★ ★

إلى الامـــام ...

بعزمِ مصرَ غالبَ الدهرَ الهَرَمْ وشمس مضرٍ تضرم الذُكا ضَرَمْ
وليلُ مصرٍ يملأُ النفسَ كَرَمْ وخِصْبُ مصر ينبت الخلق الحَسَنْ

★ ★

والصبرُ في المِصريْ صبرٌ وجَلَدْ خَلَتْ خُصومُ أرضهِ وهو خَلَدْ
وما كمصرَ في البلادِ من بَلَدْ تلأاه للطاغي وللباغي كفَنْ

★ ★

---

(١) أنظر العقاد الى (الورا) وتأمل القحة (الأدبية) ! ..

★ ★

هيّا إذَنْ هيا إذَنْ الى العُلا يا مصرُ لا نفسي ولا مالي ولا
أهلي ولكن أنت أنت أولا وأنت أنت كلُّ سرِّي والعَلَن

★ ★

يا مِصرُ كلُّنا لمجدك الفدا نقتلع الأنجم لو كانت عِدى[٢]
فلن تراعي يا بلادي أبدا لا عاشَ من بروحه عليكِ ضَنْ

★ ★

الى الامام ...

لاالضَّعفُ يوهي عزمَنا ولاالضَّجرْ خَلْقٌ من الحديد أو من الحَجَرْ
هيهات ماالأطواد في قيدٍ تُجَر فمن إذن يقيّد الأحرار مَنْ

★ ★

حريّــة البلاد عِزّةُ الأمم إنْ لم تَنَلْها أُمّةٌ عاشت رِمَمْ
فدا النُّفوس حرةً فدا النّعم فدا بلادي أنا روحاً وبَدَنْ

الى الامــام ...

★ ★

إيمــانُنا كنيسةً ومسجدا دين اتحادٍ للبلاد وهدى[٣]
وكلُّ ما في العمرِ يوماً وغدا وكلُّ ما نملك للمجدِ ثَمَنْ

★ ★

فلنحيي في أعماقنا أجدادنـا ولنحيي في آمـالنا أولادنـا
ولنحيى مصريين مهما اعتـادنا ولنحيى مصريين وليحى الوطن

★ ★

---

(٢) كادت هذه الشطرة أن تذهب بالنشيد كله عند ملاحظة الرقيب ، لكنه سارع فأصلحها بغيرها .
(٣) ورجا الرقيب أبقاء النشيد ورفع المقالة - رسائل الرافعي -٨٣ .
راجع المقدمة .

نشيــد مــصر[1]

إسلمي يا مصرُ إنني الفـدا ذي يدي إنْ مَدّتْ الدنيا يدا
أبداً لن تستكيني أبدا إنني أرجو مع اليوم غدا
ومعي قلبي وعزمي للجهاد ولقلبي أنت بعد الدين دين
لـك يـا مصرُ السلامَةْ وسـلامـاً يا بـلادي
إن رمىٰ الدهر سهامَهْ فَاتقيهـا بفــؤادي
واسلمي في كلِّ حـــينْ

★ ★

أنا مصريٌّ بناني مَنْ بَنىٰ هَرَمَ الدهرُ الذي أعيا الفنا
وقفةُ الأهرام فـيما بيننـا لـصروف الدهر وقفتي أنـا
في دفـاعي وجهـادي للبلاد لا أميل لا أملُّ لا ألين
لــكِ يـا مصر الســـلامه

... ...

. . . .

★ ★

(١) كان النشيد قد سمي باسم سعد زغلول ، الذي رفعته الاحداث الى صدر الزعامة المصرية ، تشبهاً بالترك الذين خلعوا نشيدهم القومي على زعيمهم كمال أتاتورك .

ويكَ يا مَنْ رامَ تَقييدَ الفلك أيُّ نجمٍ في السّما يخضع لك ؟
وطنُ الحُرِّ سما لا تُمتلك والفتى الحرُّ بـأفقه مَلك
لا عدا يـا أرضَ مصر بك عاد إننـا دون حمـاكِ اجمعين

للكِ يـا مصر السلامة

★ ★ ★

للعُلا أبنـاء مصر للعُلا وبمصرٍ شرّفُوا المُستَقْبلا
وفدىً لمصرنـا الدنيا فلا تضعوا الأوطـان إلا أوّلا
جـانبي الأيسر قلبـه الفؤاد وبلادي هي لي قلبي اليمين
لــك يـا مــصر السـلامة

★ ★ ★

★

★ ★ ★

نشيد
الشباب المحمَّدي

رَبَّنا إياكَ ندعو ربَّنا آتنا النصرَ الذي وعدتنا
إننا نبغي رضاكَ إننا ما ارتضينا غير ما ترضى لنا
أنفساً طاهرة طهر الحرم غلأُ التاريخَ مجداً وكرم
وافيات بالعهود والذِّمَمْ راقياتٍ للمعالي والهمم

★ ★

العُلا إن العلا واجباتُ المسلم
خير عالم خلا كان فينا ينتمي

★ ★

للعلا فإننا أمة التقدم
للعُلا وها أنا بحياتي ودمي

★ ★

يا شبابَ العالم المحمَّدي يعوزُ الكونَ شباب مهتدي
فأروه دينكم ليقتدي دين عقلٍ وضميرٍ ويَد
يا شباب العَزمات المبرمَهْ يا رجالَ المكرماتِ الملهِمَهْ
عرِّفوا الكون الهدى والمرحَمهْ علموا الكون العُلا والمكرمَهْ
عرِّفوا الكون النفوس المسلمه

★ ★

إننا الطهرُ الأماجيدُ الأُلى   نزلت لنا السّما مُذْ أُنزلا

ذلك القرآن أخلاقاً على   كوكب الأرض «محمد» العُلا

ليس كالمسلم في الخُلقِ أَحَدْ   ليس خُلق اليوم بل خلق الأَبَدْ

إنما الاسلام في الصحرا امتهدْ   ليجيءَ كلُّ مسلم أسَـــدْ

ويعـــود الديـــن للدنيـــا رشـــد

★ ★

في ضميري دائماً صوت النبي   آمراً : جاهِدْ وكابِدْ واتعَبِ

صائحاً : غالِبْ وطالبْ وادأبِ   صارخاً : كن أبداً حرّاً أبي

كُنْ سواء ما اختق وما عَلَنْ   كن قويّاً بالضمير والبَدَن

كن عزيزاً بالعشير والوطن   كن عظيماً في الشعوب والزمن

كن كريماً في الدياجي والمحن

ربِّ بالاسلام قد هديتني   ربِّ من نورك قد آتيتني ...

فعليُّ العهدُ ما أحييتني   أحرسُ الكنز الذي وهبتني

أو أموت دونه موت البطَل   ثابتاً أحيا بقلبٌ من جَبَلْ

نيّرا أحيا بروح من شُعَلْ   جاهداً أحيا بجسم من عَمَلْ

ســاعيــاً بالخير مضربَ المثَــلْ





النشيد القومي العربي

اللازمة :

حماةَ الحمىْ يا الحمى هَلُمّوا هَلُمُّوا لمجد الزَّمَنْ
فقد صرَخَتْ في(١) العُروق الدِّما أموتُ أموت ويحيا الوطنْ

★ ★

الدور :

لتَدْوِ السماوات في رعدِها لتَرْمِ الصواعقُ نيرانَها
الى عِزّةِ العُرب في مجدها رجالَ البلاد وفتيانها
فلا عاشَ من ليسَ من جُندِها ولا عاش في العُرب من خانَها
نموتُ ونحيا على عهدِها حياة الكرامِ وموت الكرام

★ ★

اللازمة

★

(×) قلت إني أعدت نشر النشيد في «الجمهورية» البغدادية في إحدى الذكريات القومية ، فأغار عليه ملحن . وضع له أنغاماً سيئة ، وقُرىء بأصوات سيئة لم تستطع أداء ألفاظه عربية صحيحة ، وهذه من الجهل بقيمة النشيد وتراث الأمة أيام نضالها ، على أن الحانه الحسّنة معروفة ومنشدة حتى اليوم في الشام ووادي النيل وأفريقيا . والعراق هو الذي أذاعها على ما مرّ في المقدمة .

بلادي احكُمي واملكي واسعدي ولا عاش من لم يعش سيّدا
بحُر دمي ، وبما في يدي أنا لبلادي وجيشي فدىٰ
أنا المجدُ والعزُّ فاستمجدي بعزّةِ شعبك طول المدىٰ
ونحن أسود الوغىٰ فاشهدي وُثوبَ أسودك يوم الصدام

★ ★

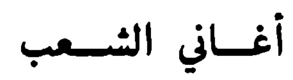
اللازمة

ورِثنا سواعدَ باني الهَرَمْ صخوراً صخوراً كهذا البنا
سواعِدُ ؛ يعتزُّ فيها العَلَمْ نباهي بها وتُباهي بنا
وفيها كفاءُ العُلا والهمَمْ وفيها ضمانٌ لنيلِ المُنى
وفيها لكلٍّ عدانا النِّقَمْ وفيها لمن سالمونا السلام

اللازمـــة

★

★ ★ ★



أغاني الشعب

الفـلاّحُ في الصَّبـــاح

هاتِ يا محمود لي المحراثَ حالا وَضع الآنَ على الثورِ الحبالا
يا «عليٌّ» قُمْ فَخذ هذي الحِبالا للسّباخِ[1] قاربَ الصبحُ الطُّلوع

★ ★

أنت يا «خضرةُ» قومي فاحلبي يا «سماحي» قل «لزينب» إذهبي
وخذي خبزاً ومِشّاً لأبي ثمَّ أرسل «هاغاً» ترعى القطيع[2]

★ ★

يا إلهي كُنْ بعوني واكفِني شرَّ أطماع (الخواجا) واهدني
للرضا وبالقنوعِ أغنِني عزَّ من كان غنياً بالقُنوع

★ ★

ربِّ بارك في بنيَّ أجمعين وكُنِ اللّهمَّ لي خيرَ مُعين
واكفِنا أدواءَ هذه السنين إنَّ من لم تكفِهِ أنتَ يضيع[1]

★ ★

---

(١) السباخ : الدمن ، ويشير بكثرة الأسماء الى كثرة أولاد الفلاحين - وهي النقطة العمرانية المهمة فيهم .

(٢) الصواب ، يضعْ لأنه جواب الشرط ، وأراد بذلك تقريب الفصحى من العامية التي لا تجزم في هذه الحال .

ثم إنه يصور حال الدعاء التي يغرق فيها الفقراء ، تخلصاً من هموم العيش وتعاسة أحوالهم الاقتصادية مع المرابين والاقطاعيين .

قال : باسم الله ربّي ، وخَرَجْ والصباحْ لججُ فوق لُجج
والضياءُ كالأماني في المُهَج والدجى في مهبط النجم صريع

★ ★

والنّبات في غَرامٍ بالصبـا فهي ان غـاب عليـه قربـا
وهي ان تقرب تولّى وأبى والنّدى في أعين الزهرِ دموع[٣]

★ ★

ذلك الفلاحُ سلطانُ النشاطْ في يديهِ صولجان من سباط
ولهُ ـ أين مشىْ ـ الأرض بساط وهو في مملكة الخلقِ وضيع[٤]

★ ★

ملك لا يعرفُ الهمَّ ولا يبتَغي بكلٍّ عيشٍ بدلا
لا يقـول ليتَ قلبي قـد خلا من همومي،أوخلت منه الضلوع[٥]

★ ★

---

(٣) الصبًا : ريح جنوبية شرقية تهب على الحجاز من الديار العربية ، وهي حارة شديدة الأذى ، ويريد بها هنا حركة النسيم العليل الذي يداعب الحقول النضيرة بهبانه ! ...

(٤) يريد أن ما يقدمه الفلاح من عمل ، لا يأتلف مع الحال الوضيعة التي هو عليها عيشاً . فهو يكشف عن سوء النظام المستغل لقوته ونشاطه .

(٥) يريد أن الفلاح إبن الطبيعة ، لم تدركه المدنية ببطرها ، ولا هو يريد الخلو من الآلام ما دامت هذه الآلام هي التي تشعره بالحياة .

فتحت شمس النهارِ عينهَا فرأتْ في مسرحِ الأرض أبنهَا
قائماً ؛ يسأل من كوْنهَا : أن يكون العامُ ميمونَ الربيع

★ ★

فرَمتْ في الأرض مثل الذَهَبِ وأشارت للفتى : أن تدأبِ
أعْطِكَ الخيَر جزاء التعَبِ فانحنىْ بالفأسِ يُظهِر الخضوع

★ ★

كلُّ فـلاحٍ على ذِلُّتهِ كتَب التاريخ في جبهْته
إنَّ هذا المرءَ من حرفِتهِ عاش في الدنيا الوضيعُ والرفيع[٦]

(٦) يريد ان حرفة (الفلاحة) على ما هي عليه آنذاك من نظرة الازدراء والاذلال ، فقد سجل التأريخ الانساني حقيقة العيش في الدنيا ولا عيش بدونها لرفيع او وضيع !

نـشيد الفَـلاّحـة*

الفجرُ قد غَبرَ ثُمَّ لاحا — والديكُ قد أذنَ ثم صاحا[1]
وأطلَقَت حمامتي الجناحا — والكلبُ بالباب غدا نبّاحا
واشتاقَت البهائمُ السَّراحا : هيّا الى غيطك سُقهَا : حا ،حا[2]

★ ★

أروح والجارةُ تملا الجرَّةْ — غرٌّ بالغيط القريب مَرّةْ
نرىٰ الهنا ، والفرْحَ والمَسرّةْ — يا ربُّ لا تُنزل بنا مضَرّةْ
واكتب لداري العزَّ والأفراحا : هيّا إلى غيطك سقها: حا ، حا

★ ★ ★

البنتُ يا مَولى الدعا المجُابِ — إحفظ عليها صحة الشباب
وافتح على أولادي الأحباب — مَنْ راح للغيط ، وللكتاب
ذا يقرأ الغيْط وذا الألواحا : هيا الى غيطك سقْها : حا حا

(*) ذكر الاستاذ محمد عبدالغني حسن : أن الرافعي كان من أسبق ادباء العرب إحساساً بالريف وأهليه ، أجرى على لسانه ترانيمه وخواطر نفسه ، حتى قلده الشعراء الأخرون كأحمد محرم وأحمد الصافي النجفي . .
وما أجدر هذه الانشودة بالتلحين والغناء في المواسم الفلاحية ، من بذار وحصاد وجني قطن وسواها .

(١) غَبرَ : اختلط بالغبار ، ويريد بها حالة الغبش التي يتحرك بها الفلاحون والرعاة فتثير الغبار مع ضوء الصباح . والغيط : هو الحقل عند أهل العراق والشام .

(٢) حا حا : أصلها حأ حأ : كلمة زجر يهش بها على البهائم من الدوب والاغنام .

يا نَخْلَة الغيظِ احذري الغرابا   يا نَعجة الغيَظ احذري الذِّئابا
يا صاحب الغيظ احذر العَذابا   من الرِّبا والفقر والخرابا
إنَّ الربّا ليس لنا مباحا   هيّا إلى غيطك سُقهّا : حا حا

★ ★ ★

إياكَ أن تذكر لي الخواجا[3]   فقد رأيت جارنا المحتاجا
راحَ إليه ماله ، وماجا   وباعَ حتى البطَّ والدجّاجا
لا خير في مَنْ جانبَ الصلاحا   هيا إلى غيطِك سقهّا : حا حا

★ ★ ★

إياك والرهن على الغيطان   فتنزل الدودَ على الاقطان
وتفتح الأبواب للشيطان   وتجعل الهدم على حيطاني
الشمس جاءت والصباح راحا   هيا الى غيطك سقها : حا حا[1]

---

(٣) الخواجا : السيد بلغة الطارئين على الديار العربية من الأروام(اليونان وسواهم من الفرنجة)ونكاد تكون فعلاً مصطلحاً ثابتاً للمرابي الجشع . الذي يخرب البيوت .

وماجا : أصلها وما جاء حذفت الهمزة ضرورة ، وتقريباً من لهجة الفلاحة . وتذكير الفلاحة زوجَها بالدين الذي يحرم الربا . والوقائع التي تسبب أكثر من التحريم تصوير واقعي للمرأة العربية وهي في الحفاظ على بيتها وزوجها وأهليها بحكمة ودراية .

(١) مما شاع عن بعض الفقهاء المتأخرين إجازة التسليف على الزرع الأخضر ، ومع أن الآية صريحة في هذا الشأن 'وأتوا حقه يوم حصاده' فقد أباح بعضهم تحديد السعر قبل الحصاد ! مما فسح في المجال للمرابين الادنياء بالديون والرهن والتسليف وما اليها من حيل أصحاب رؤوس الأموال التي أضرت بالزرع والضرع وخلفت الفلاحة في الشرق العربي دهورا .

والفلاحة هنا تزيد زوجها معرفة بصور الخراب والدمار إن هو أقدم على قبول الحرام بالربا ونحوه ، مما يدخل ضمن أحابيله من الرهن والتسليف . !

أنا ابنة الفلاح أم النصر فلاحة ، يا بنت هذا العصر
لكنَّ كوخي من أساس مصري يسند فيه ركن كل قصرِ
هلم غني معنا الفلاحا هيا إلى غيطك سقها : حا حا

★ ..★ ★

زَجَـــل

في تسريـــة فقير

يا ليل ، يا ليل ، يا ليلْ   ما تنجلي ، يـــا ليـــلْ

القلب أهــو راضي   لك حَمدي يـــا ربيّ
من الهمـــوم فاضي   افرح لي يـــا قلبي

★ ★ ★

يا دوب كذا يا دوب   زي الحـــام عايش
ما يمتلك غير ثوب   طول عمره فيـــه نافش
يا ليل ....

★ ★ ★

إن قلت أنا فرحان   ذا مـــن يكذبني
وأكثر مـــن السلطان   فرحان أنـــا بابني

★ ★ ★

بين السيوف يـا نـــاس   ما انكسر سيـــفي
ابن الغنىْ محتاس   وأنـــا على كيفي
يـــا ليـــل ....

(*) لم يكن الرافعـــي من دعاة النظم أو الكتابة العامية ، وإنما هو من دعاة الافصـــاح لاعادة الوحدة الفكرية للأمة . غير أنه لمناسبة الظرف في الموضوع نظم أمثال هذه الأزجال حسبنا منها هذا مثالاً .

وابن الغنىٰ في هموم والخالي خالي البال
والفقر مابِ يــدوم وتدوم همـــوم المال

★ ★ ★

يا طير يا طير يا طير الحر فوق اللـــوم
والخير جميع الخير لقمة وعــافية والنوم



متفرقــات

شبان العصر*

غنيٌ ملءَ خديه المدامُ
وملء يديه للغيد السلامُ
تلطف لفظه فهو ابتسامُ
ودل على تدلله الهيامُ

★ ★ ★

تمدّن ، والتمدّن ما رأَينا
رذائل تشترى نقداً ودَينا
وأخلاق بها ضحكت علينا
لدن ذكرت تمدننا الانامُ

★ ★ ★

رأى ورأته غانية فهاما
وكل منهما رامٍ مراما
كستها صفرة الذهب السقاما
وذلك كل ما فيه سقامُ

★ ★ ★

(*) يريد بهم ذلك الشباب الطائش من أولاد الاغنياء الذين عناهم الشاعر العربي قديماً بقوله :
إن الفراغ والشباب والجده   مفسدة للمرء أي مفسده

وهذه القصيدة الموشحة ، تكاد تكون تصويراً حياً واقعياً لمثل هذه الحال .
والغانية : فتاة المقصف (Artist)

أحببته لتجعله محبا ...
وبعض الشر من بعض يربيْ
فما زالت تطاوعه وتأبى
الى أن قاده هذا الزمامُ
تريه الشهدَ من حب ووصلٍ
وما هذي الغواني غير نحل
تريد زهورها ذهباً لتحلي
مذاق الوصل إن مر الغرامُ

* * *

بتاجٍ من ثناياها الحسان
فيجمح في الجنون ويستهام

* * *

لدى ملك يصير له إماما
ومن وزرائه فيه النّدامى
متى أسداهم النعم الجساما
فكل زجاجة منه وسام(١)

* * *

وما أبقاه - إن أبقى القمار
تُضيعه الندامى والمدام

* * *

(١) الندامى : رفاق الشرب في المقصف ، أسداهم : منحهم .
والوسام : علامة تكريم من هدية وجائزة ونحوها ..

وكم هم يجر عليه غماً
فلم يعبأ به ، والحبُّ أعمىٰ
ومن حظ البهيمة أن تغمى
لتحسب أنّ رجعتها أمام[2]

وزاحمه فتى أغنىٰ قليلا
فمالت ميلة أقصته ميلا
تميت الحيَّ : كي تحيي القتيلا
فبئست في الحياة وذا الحمام[3]

تدافعه وقد ملكت قياده
كعادتها - وبئست تلك عاده
فقرش واحد فيها زياده
تقوم عليه حرب أو سلام

فغار وعذره الحب القديم
وباح لها بشكواه السقيم
لِيَعطفها - وعاطفها كريمُ
وناح ، كأنما سَجع الحمام

أمانا من جنونك لي أمانا
فقد صيرن لحظك لي سنانا

(٢) الهمّ : الحزن على شيء مضى ، والغم : الخوف من حزن يأتي ، ويُتوقع ، والبهيمة تغمى ، توضع لها الغِمامة بكسر الغين ، وهي الخريطة التي تربط بها عيناها ، والعامة تسميها الغمى بالضم .
(٣) الحرام : الموت .

بَلى ، صورن لي أن الزمانا بما فيه على كبدي سهام

★ ★ ★

كهجرك إذ تنم بـه العيـون فيصرفهـا ويعطفهـا الملامُ

فبين يديك أن تملأ يديـاً وللسبآق ينفـرجُ الزّحـامُ

★ ★ ★

تغيب الشمس في ظلمات روحي

على شفق من الجفن القريح

وفي أفق من القلب الجريح ليطلع فجرها منك ابتسام

★ ★ ★

... فأوحى لحظها وحياً خفياً

إليه ، وَيْكَ هات ثمُّ هيّاً

فبين يديك أن تملأ يدياً وللسبآق ينفرجُ الزّحامُ

★ ★ ★

وأمس مضى ومات الهجر فيه

وهذا اليوم خط نصطفيه

ويوم غدٍ غرام نجتليه وبعد غدٍ على الدنيا السلام

★ ★ ★

فما اصطلحا ودار البدر شهرا

له حتى استحال الحظ فقرا

فكيف رمى الحسابَ رآه صفرا وكيف أعاده فهو التّمام

★ ★ ★

وقد قطعت به سفر الشبابِ
سفين الكأس في بحر الشرابِ
وألقته على بر الخرابِ كما طرحت إلى القبرِ العظامُ

★ ★ ★

رآه فتى فقال : على مَ هُنتا؟
وكيف عدا الزمان ؟ وكيف أنتا ؟
فهذي البنت قد جعلتك بنتا فأشبهها سلامك والكلامُ

★ ★ ★

وقد أصبحت من هذا البلاء
كأنك بعض أطيار السماء
تعيش من الفضاء وفي الفضاء وثروتها من الدنيا الطعام

★ ★ ★

كرمت على التي سلبتك جدًّا
وكنت تَطُقُ بخلاً أن تعداً
إذا أعطيت - خيفة أن تصدا وأن يهزأ بك الصحب «الكرام»

★ ★ ★

وتكبر أن تعد يداك ألفا
فقد أصبحت بين الناس خَلفا
تعد أصابعاً وتعض كفا كذلك ما تسوم وما تسام

★ ★ ★

فقال : إليك هل أبصرت فيما
تحلى ذلك الحجر الكريما
وذاك الدر والعقد النظيما وراقتك الخواتم والحزام ؟ ..

★ ★

سيرجع كل هذا بعض مالي
رمت يمناي ما لقفت شمالي
فلا تغررك حالي - إن حالي كما يعرى بجديه الحسام

★ ★

مضى زمني - وحان لها أوان
وإنا - إذ مضى ذاك الزمان
لحواء وآدم والجنان سيسقطنا جميعاً انتقامُ

★ ★

.. فيا لك فاسقاً لو أن نجماً
رأى الشيطان ثم رآك ثماً
لغادر ذاك واتلقاك رجما ليخفي سوء نبتك الظلام

★ ★

لئن سلبتك يا صقر الحمامه
فما أعطيتها الا الشهامه
وما قدر الحظوظ بلا كرامه لحظ الوهل قد سقط الغمام

★ ★

(١) ثَمَّ : بفتح الثاء ـ هناك

غني ثم معشوق فَصَبٌّ
فسكير يقامر ، ثم خبٌّ
فلصٌّ ذلك الرجل المحبُّ وحتى في رذائلهم نظامُ

★ ★

ملذات الشبيبة بالحسابِ
وليس ندى الازاهر كالضبابِ
فيا شبان رفقاً بالشباب متى ضعف الأساس فالانهدام

★ ★

حرام ان تضيّعوا مجد مَصْرِ
على حانٍ وغانية وقَصرِ
ومن يجمع رذائل كلِّ عصر بلفظ واحدٍ فهو «الحرام»



---

(١) الخِبّ : بكسر الخاء : الخبيث المخادع

نـــور الكهربـــاء*

يا آية في صفحة الليالي — من سورة الكوكب والهلالِ
أقام منك شاعر الجمال[1] — تتمة الدليلِ للعُذالَ
على القلــوب وعــلى الآمــــالِ

★ ★ ★

فأنت للعاشق في المثال — أشــعة لكن من الدلالِ
في ظلمة الهجر أو الملال — بل أنت عندي شعلة الخيالِ
تمثلت في رونق الجلالِ — في قطعة من صفة المعالي
أو مثــل يــسير في الأمثــــال

★ ★ ★

وانت ما بين الزمان الخالي — وبين آيات الزمان الحالي[2]
وبين ما يأتي في الاستقبال — معنى الرجا في لفظة المحالِ
وبسمــة البــشرى مــع الوصـــالِ



(*) ولع شعراء العربية بوصف المخترعات الحديثة . وهذه الأرجوزة الهازجة المستبشرة تصـــور هذه الروح العربية وهي تستقبل النور علماً وعرفاناً .

(١) شاعر الجمال ـ هو الرافعي نفســه . في أول لقــب عرف به . لنظمه في الغـــزل ـ أنظر الجامعة١٠ ـ ٢ ـ ١٩٠٣م .

(٢) الرافعي - إذ اختراع مثل هذا النور وغيره من المخترعات كانت كالمحال في الماضي . ولا يبعـد أن يتحقق المحال في الزمن الآتي على هذا القياس .

حديث الهوى*

يا قلب مالك والهوى | أومَا اكتفيت أسى وهَمْ ؟ !
تهوىٰ بها القمر الذي | ما حوله إلا الظلمْ
تهوى بها كالعمر ما | فيه سوى طرق العَدَمْ

★ ★ ★

في سقمها عز الدوا | وتعود صحتها سقم
والعمر يتعب في البنا · | فاذا البنا تم انهدم
والحب كل الحب يأ | تي بعده كلُّ الندم

★ ★ ★

يا قلب تشكو ظالماً | من عدلِهِ - ما قد ظلم !
يجري عليك بما جنى | وتُعد أنت المتهم
إن قال : «لا» كذبتك «لا» | وإذا : نعم كذبت «نعم»
كل الكلام حلاوة | لما به الحلو ابتسم

★ ★ ★

آهٍ من الدنيا ومن | قدر على الدنيا حكم
البغض شيءٌ مؤلمٌ | والحبُ شيء كالألم

★ ★ ★

(*) الاهرام - ٥ نيسان ١٩٢٣م

نشيـــد الربيـــع (*)

نزلت الى ثرى الأرض سما　　صنعت فيه كواكب الزهور
ملأتها للجهال أنجما　　فـأملئيها يا حسناتِها بدور

★ ★

.. ومن الجنة طاووس أتى　　نافضاً ألوانه في ذا الربيع
مهدياً كل فتاةٍ وفتى　　نفس الجنة في نار الضلوع

★ ★

غرِّدت طيرُ الربى فغرِّدي　　في فؤادي يا عواطفْ الشباب
جدِّدي كالروض عمري جددي　　وألبسي في النفس الوان السحاب

★ ★

أبيضاً في أحمرٍ في أصفرٍ　　مثلما تلبس اغصان الزهر
أنا كالدنيا ربيع فانظري　　قلبها شمس وفي قلبي «قمر»[1]

★ ★

وشعاع الحب مالىءٌ دمي　　كشعاع الشمس يملأ النهار
والربيع نار حسنٍ مضرم　　طلعت أزهاره مثل الشرار

★ ★

من خدود الورد من ثغر الزهر　　قبلات في تحايا في ابتسام
من نسيم الليل من برد السحر　　عادت الايام برداً وسلام

(*) الاهرام ١٥ / أذار ١٩٢٣ م

(١) يشير الى صاحبته في 'حديث القمر' وفيه تورية ! .

داوِ آلامَ الحياة بالرضا واسأل الطب نسيمها العليل
ودواها في زجاجة الفضا أفق طلق ومنظر جميل[٢]

★ ★ ★

---

(٢) يشير الى قصيدة له في رسالة يقول فيها :

يا بحمدون كم شهدنا جمالاً من ربى المنظر الجميل استنارا

انظر الرافعي والحب - الاديب الامام .

قلبُ المـــرأة

ياطالب الدر من الدراري وصائغ الدرهم والدينارِ

من الضحى ، ومغرب النهار[1]

ومن إذا ثارت من الغبار ثائرة تلوح في الانوار

كأنها جسر على الأنهار يقول : أبني في الهواء داري

★ ★

ذلك في البعد وفي الافكار يشبه وصل ربةّ النُّفار

تقلُّبٌ ، والحب ذو أطوار حيناً يماري ، ثم لا يماري

وكيفما دار بنا يداري وعزمه كموجة التيار[2]

وذلة في هيبة الجبار وعزة في مسحة انكسار

★ ★

آهٍ من المرأةِ - في اقتدار فانما بذُور الافتكارِ

فانما بذور الافتكار في قلبها إن عمدت للثار

ينبتن منـــه شجــــرات النــــار

---

(١) المراد بمغرب النهار وقت الطَّفَل : وهو الوقت الذي تنكسر فيه أشعة الشمس على جـوانب السماء ، فتكون كالذهب ، وفي هذا السطر لف ونشر .

(٢) التيار لا ينصرف عن اتجاهه مطلقاً ، وكذلك إرادة المرأة إذا عزمت والحوادث كثيرة .

وقلبُ ذاتِ الحسن في اعتباري … صحيفةٌ من صُحُفِ الأقدار
أكثر ما تكتبُ في احمرار[٣] … في لُغةِ الأخيار والأشرار
سطورُها أشعة الأبصار … توقيعهُا من الاله الباري
عنوانُها إلى القضاء الجاري … مُقادُها سرٌ من الأسرار
يجمـعُ بين الصفـــو والأكــــدار

★ ★

ونحن في دهرٍ من الأدهار … يباعُ فيه الحبُّ بالأسعار
وأصبحت عفيفة الازار … طاهرة الذيل من الأوزار[٤]
عَزوفَه[٢] النفسِ عن الأقذار … من «دنس» التمدن الغرّار
تعـدُّ بين سـائر الجــواري
كأنها مــن متحــف الآثــار



---

(٣) يريد بالاحمرار لون الدم . وفي الامثال الحسنُ أحمر . والمراد : أن إراقة الدم كثيراً ما يكون سببها من النساء .

(٤) الاوزار : الذنوب

(٢) عزوفة : مترفعة عن الدنيا . عزف أو عزفت نفسه . ابتعدت أنفةً
من متحف الأثار ـ كناية عن البنت العفيفة التي لم تلوثها عادت التمدين الحديث وقد يعزف عنها شبان اليوم - الذين هم نساء الغد .. بدواع منها أنها لم تعرف سفاهة الحياة الجديدة ، ولا جربت الحبُّ بالأسعار مع الرجال ! .

وشــــاح الذهـــــب(*)

يا عروس الطُّهر فوق السُّحُبِ ظاهراً منها وشاح الذهب
في التماع النيِّرات الشُّهُب في أئتلاف الخمر أمّ الطرب
في ازدهــاء القَطْــرِ فــوق العــشبِ

★ ★

أرقَي الشمسَ لدى مَشْرقها وانزعي الإكليل عن مَفرقها
وخذي الصافي من مونقَها قبلَ أن تَستَرَ من رونقها
بــرداءِ الأرجـــوانِ القشـــب

★ ★

واجمعي من كل روضٍ نَفَسا واخلعي عن كلِّ زهرٍ مَلبسا
واجعلي ديباجه والاطلسا وحرير الياسمين الأملسا
حُلَّـــةً تكســوْ عــروس العجــبِ

★ ★

ثمَّ جيئي الطيرَ في تلحينها وخذي الأنغامَ من تَلقينها
واسمعي الغدران في أنينها واسألي الألحاظ عن رنينِها
في فــؤاد المستهــــامِ الوصبِ

(*) الوشاح : ما تتقلده المرأة متشحة به ، فتطرحه على عاتقها فيستبطن الصــدر والبطن ، وينصبُ جانبهُ الآخر على الظهر ، حتى ينتهي الى العجز ويلتقي طـرفاه على الكشـح الأيسر ، فهو من المرأة في موضـع حمائل السـيف من الرجـل ، والمراد بوشـاح الذهب ما يتموج من تفاويف السحاب - الرافعي .

فاذا أتممْتِ هذا أجمعًا فاصحبي العفّةَ ثمَّ أسرْعا
وأتيا في الأرض بدرًا طلعا ثم قوما في زفافهِ معا

بين هاتيــك الحســان العُرُبِ

★ ★

فضعي الإكليل في حليته وانشري الأنفاس في حُلّتـهِ
واجعلي الألحان في نغمتهِ واخلُقي الشاعر في كلمته

إنهــا قبلــة خـــدٍّ الأدب

★

★ ★ ★

في ليلة أُنس

من أشعة النظَرِ لأشعة القَمرِ
من سهاد أعينه لـكواكب السُّهرِ
من ذبول ِ مقلتهِ لنضارة الحورِ
من مِطال ِ ليلته لمدّبر القِصرِ
من نحوسِ طالعهِ للقضاء والقدر
أشتكي ولي كبد إن شكوت تنفطرِ
غير أنه ضَرَر مسعدٌ على ضَرَرِ

★ ★

يا فؤادُ - ملتفتاً نحو مشرق ِ الغرُرِ
قد نجوتَ من خَطَرِ ووقعتَ في خَطَرِ
طائرٌ بلا حذَر واقع بلا حَذَر
نارُهُ هنا وهنا مثل نَحلَة الزَّهر
لحظُهُنَّ منكسرٌ في فؤادِ مُنكسِرِ
وهو فيه منخفضٌ للدلال والخفَرِ
وهو فيه مرتفعٌ للصدودِ والبَطَرِ
في العيون ذو أثرِ في القلوب ذو أثرِ
مثل ريشةٍ نفَضَتْ صِبغَها على الصُّوَرِ

★ ★

النجوم ساطعة في سماء معتكر
مثل مشط غانية في ذوائب الشعُر
والسماء حالية بالكواكب الزُهر
كنسيج عاشقةٍ خرمته بالإبرِ
والنسيم من سقمٍ يرتمي على الشُجر
مثل وعد مخلفة سائر إلى الحذر
والدجى لها قمر لجبين مفتخر
هو تحت لُجتها دُرَةٌ من الدُرَر
وهو بين مرتفع مـــرةً ومنحدرِ
مثلُ درهمٍ وَرِقٍ راقص على الظفر

★ ★

ليلة بها عُصُرٌ قد جرت الى عصر
مرٌ لي زمان هوى وهي منه كالخبر
فنسيمها سحـــر نائب عن السحر
وصباحها ثِملٌ قد دعي ولم يزر
عطلّوا لها فلكاً إن أديرَ لم يدُر
يشغف الحب هوى بجمالها النضر
ذاكراً أحبته بنسيمها العطر

★ ★

هي روضـــة سقيت مـــن غمامـــة العمر
القـــدود أغصنهـــا يتثنَّينَ في الأزرِ
والقلـــوب مـــن ثمر في الغصـــون منتـــشر
واللحـــاظ طـــائـرة قـــد نقرن في التمرِ
والحظـــوظ قـــائمـــة بين خيرة الخير
كلمًا هَفـــا أمـــل نَبهَـــوه بالوَتـــر

★ ★

تلك ليلـــة جُعِلت في الورى مـــن السّبرِ
أهلهـــا شمـــائلهم ســـورةٌ مهن السُور
والنـــديم بيـــنهمُ قطعـــة مـــن الهـــذَرِ
خِلتِـــهُ أعـــاد لـــه روحـــه أبو العـــبَرِ[1]

★ ★

(۱) ابو العـبر - رجـل من الحمق كان في عداد أدباء زمن بني العباس يمزج بين الحكـة والسـخافة كثير الهذر والهذيان .

إرحمـــــــي

إرحمـي :

عاشقاً في كمَدَ

مستطار الكبد

وعده كلُّ غد منك حتى الأبد

وارحمي :

قلبه أن يقفا

حَسرةً أو أسفا

لوعةً أو كلَفًا فالذي مرَّ كفى

وارحمي :

أن يزيـد اللعب

والجفا والغضبُ

فهناك العطبْ وهواك السببُ

وارحمي :

من جفاك المسقمِ

بعض روحي ودمي

ولساناً في فمي طالما قال : ارحمي

★ ★ ★

في معترك الشوق

سمرّه فيك قد انهتكا فاذا مرّ النسيمُ شكـا

★

ناحلٌ لولا تَنَهُّدُهُ وفؤادٌ فوقَـهُ يَدُهُ
ودموعٌ منـه تسـعدُه
وهو إن لاح الصباحُ له ورأى شمس الصباح يكىٰ

★

ظَلَمتَهُ - وهو ما ظَلَما حَمَلتَهُ وهو ما سئِـما
حبّها والبُعدَ والسقـما
تركته - وهو ما تركـا
طُرُق الحبّ واسعةٌ ربّما ضَلَّتْ بمن سلكـا

★ ★
★

أنا من نفسي ومن زمني والهوى والهجر والمحَنِ

مع هذا الهمّ والوَهَنِ

أعزلٌ قد خاض معتركا

يا سليماناً ، وأنت لها ذي يدي فامدُدْ لها يدكا

★

أنا درٌّ ماله صَدَفُ أنا سهمٌ ماله. هَدَفُ

أنا قلبٌ مضّه أسني

أنا جوٌّ نيّرٌ حلكا

وأرى نجمي على قلقٍ فكأن قد غادر الفلكا

★



ايها الشرقُ المنير أما قَطَرَتْ فيك القلوب دما

ثم اجروا في الدم القَلَما

فغدا فخرُ العلومِ لكا

ليت شعري كيف صرت وما نطق الطير ، كيف قيل : حكىْ ؟ !

مطلع الشمس[1]

الشمس طفل في سرير السَّحر　　عليه ستر من شعاع القمر
لمأ تباكىٰ بدموع الزَّهرَ　　غنَّتَ له الأطيارُ فوق الشجر

★ ★

ويحك - خذ لناظريك وانظر　　فالأفق من نور الحياة الممطر
يغسل منك كل جدب مقفر
حتى تعود كالنهار الأنور
..وأنت في فجر الضيا إن تشعرِ　　أعارك الفجر شباب العُمُرِ
رقته كروح ماء النهَرِ　　يصبُها منك بمجرى الكَدَر
تنبت في النفس بكل أخضرِ　　من المنى يُجنيك حلو الثمرِ

★ ★

يا فجر إني عند نبع القمر　　غسلت نفسي من هموم الفكر
حتى بدت كالياسمين النضِرِ
فابعث لها نفح النسيم العطِرِ

يا أفق الفجر بأي خنجر　　من عسكر الكواكب المنحدر
جرحت - إن الجرح بادي الأثر　　والشرق فيه كالدُّم المنفجر[2]

---

(١) المقتطف - نيسان / ١٩٢٨ م

(٢) يشير الى الحركات الشعبية والانتفاضات والثورات التي غشيت أقطار الوطن العربي بع الحرب الاولى وتمزيق الديار بالقطريات والاستعمار . وكيف كانت تسيل دماء المناضلين ذبًا عن القيم والأهداف .

أهلاً بأم النور بنت القدر وجدة الدنيا التي لم تكبر
مضنية العمر الذي إن يذكر بالطول ، عد الطول مثل القصر

قـدرة رب خالق مصــور

تحولت في لوحــة لمنظر

تموج في تلوينها المستعر كأنها غمامة من شرر

بل حجـة القــادر والمقتدر

في كل معروف وكل منكــر

تصب من نور النهار المسفر برهانها في كل قلب مفتري
تعلم القلوب علم البصر وتنثر الشعاع مثل الابر

في قلب كل جاحدٍ ومفــتري

* *

تزين بالجمال كل منبر في جوهر الأرض بحسن الزهر
في زهر الارض بحسن الجوهر في كل حسن من بديع الصور
تطلع للأسوَدِ مثل الأحمر تنير للأبيض نور الأصفر
تضحك للمجرم ضحكة البري ما عندها من أكبر وأصغر

بل هي كالأم لكل البـشر

* *

مؤمنة كفرت أم لم تكفر كالحسن لولا أنها لم تعذر
وقد مضت في ليلها المعتكر كَئيبَةٍ مخبوءة في حذر
وقد اتت في صبحها المشتهر كطلعة الظافر يوم الظفر
تبسط نور حسنها المنتشر كأنما تمجه من درر

ويتبدىٰ نورها إن تنظرِ   فوق الوحول مثل خير الخير
يظل طاهراً بما لم يطهرُ   كأنما فكرة مصلح سري
تخوض في أدناس كل معشر   في طرق الجهل ووحل الغير
وتنثني ، وما لها من أثر

★ ★

إرادة من ربها المدبِّرِ   ما غيرها في الكون من مغيِّرِ
وما اعترى الكونَ ما سيعتري   وكلٌّ فعل فهو من ذ «المصدر»



زفــــــرات

يا عنان الصبر والقلب جواد كيف لا تقطع بي هذا البعاد

اترى جَد بهـــا لعب الهوى

أم ترى امتد بهـــا شطط النـــوى

أم ترى ليس من الود دوا أم ترى ليس على الارض وداد

★ ★

طال ليلي ، والهـــوى طولُـــهُ

وأرى آخرَهُ أولـــــهُ

ما لليل الحب صبح ، وله في الهوى من كحل عينيها سواد

★ ★

يـــا نجوم الليل قولي للقمـــــر

إن تدلى ، فتجلى فسفـــر

وجرى نهر الضياء فانحدر بقيت ظلمة مهموم الفؤاد

★ ★

ظلمته لو صب فيها البدر والـ

فجر ، والصبح ونور الشمس بل

فلك الضوء ، سوى ضوء القبل من فمٍ تهواه ...ظلت في أزدياد

★ ★

يا ضميري ما ارى الأمر لنا
ليس في ضمائر الحب «أناه»

والمنى ليست تعد لي منى
آترى العاشق من حي الجهاد

دفعتني نحو حب كالعدم
أي نحو - ويحها من غير ضم

كل ما في نحوها لي : لا ولم
تلك تنهاني وذي تنفي المراد

افتحي باب الضيا في ظلمتي
بسلام منك أو بيسمة

وابعثي ميت الرضا في كلمة
ما سوى الوعد له يوم المعاد

★ ★ ★

ظمأ الهوىٰ

الصبرُ لا يُجدي من بَعدِ ذا البُعْدِ مع الملال
وليس للصَّدِّ وحُرقةِ الوَجدِ سوى الوصال

★ ★

من الهوى .. يا ما اشدُّ الهوى
وذا الجوى .. يا ما أمضَّ الجوى
قتلت نفسي والغرامُ انطوى
مُذْ نَقَضوا عهدي وأخلَفوا وعدي بذا المطال
وكنتُ ذا حَدّ فِضرتَ كالغمدِ لدى النضال

★ ★

وبي ظما وبلاه من ذا الظمأ
وقد أرى الماءَ ولكنما
قولي لي يا ليت ويا ليتما
سقَّرُ كبدي فلم أنلْ قصدي ولا أنال
وحضرة اللحدِ أنزلها وحدي بكلِّ حال

★ ★

رقـــــة روح

يامَن لنضو طريح مجمَّعٍ من حطامِ
بقيةٌ من سلْوٍ على بقايا غرام
وقطعةٌ من جفاءٍ في قطعةٍ من سلامِ
أضيء كالنجم لكنْ في وَحْدَةٍ وظلام
وما أكابدهُ ناراً يروه نوراً أمامي

★ ★

ما نفع رقة روحي تندى كظلِّ الغمام
وكلُّ ما هو حولي كحَلْقِ عطشان ظامي

★ ★

يا واصلاً بالمعاني وهاجري في الكلام
مخاصمي في نهاري مصالحي في مقامي
من العبوس كلامٌ معناه معنى ابتسام
ولن يغيرّ جسم الـ وداد ثوبُ الخصام

ما نفع رقة روحي تندى كظَلِّ الغمام
وكلُّ ما هو حولي كحَلَقِ عطشان ظامي

★ ★ ★

طيـــــفُها

نَصبتُ لي في الكرى حِبالَهْ أصطادُ صيداً من الصُّــور
رأيتُ جسمي انتهى لحالَهْ تضيء كالشمس والقمر

★ ★

فِطرْتُ في النور أجتليه محاسناً تملأ السَّما
ولاح ضوءٌ بلا شبيهٍ إلا حبيبي تَبَسَّما
فقلت : مِلْ بي يا قلبُ فيه لعلَّني أطفىء الظما

★ ★

ناجيتُ قلبي بذي المقالهْ فدَمْدَمَ الأفق بالشَّرَرْ
صرخْتُ ما للفضاء ؟ مالَه ؟ فقال : في قلبك الخطَر

★ ★

يا أفق هل خُفْتَ من شرارَهْ تحت الضلوع اسْمُها الفؤاد ؟
أم سعرُ الهجرُ فيك نارَهْ توقَدُ من يابس الوداد
أم يوم حُبٍّ قضى نهارَهْ وحلَّ من بعده السَّواد

★ ★

فقال : وجهٌ ترى خيالَهْ في قلبك الحامل الضرر
إرجع فلو أن ذي «الغزالهْ» تغازلُ النجم لا نفجر ! ..

★

★ ★ ★

كتـــاب رضـــا

كتابُها قد جاءني حاملاً لقلبي الخفّاق قلباً خَفَقْ
والتمعت فيه نجوم المُنى في أسطر مثل سواد الغَسَقْ
وأعرفُ القُبلةَ في موضعٍ يلوحُ لي كالزهر لا كالوَرَقْ
وكم به سطرٌ إلى آخرٍ كالصدر للصدر دنا فا عتنق
وكم بـه معنى أنـام الجوى وكم به معنى أتى بالأرَقْ

★ ★

سألتـهُ : كيف رأى وجههـا فقال : جَلَّ الله فيما خَلَقْ
قلت : وذاك الخـدُّ لمـا استحى
فقـال مثـل الفجـر فيـه الشَّفَقْ
فقلت : وذاك الثغر مـا امره فقال : لما ذكرتك انطبق !
يا ثغرها فيك نسيم الندى فكيف قلبي في نداك احترق ؟ !



حمى ليلى

يا حمى ليلى ، ويا ليل الحمى　　هل لشمس غربت من مطلع

★ ★

بعثت أنوارها غرتها
في حياة ذبلت زهرتها
ثم لما سطعت نضرتها　　ألقت اليأس عليها ظلما
وأشد اليأس ما لم يقع

★ ★

ويح هذا البعد لا خل لدي
يحمل الاشواق عني أو إلي
هل ترى لم يبق فوق الأرض حي　　أم ترى لم يبق غيري مغرما
أم أنا بعد هواها لا أعي

★ ★

تضحك الشمس وتزهى الأنجم
وأرى الكون جميعاً يبسم
غير قلبي فهو ليل مظلم　　نام فيه الحب يلق الحلما
فرأى في الغيب ما لم يقع

★ ★

كدت أنسىٰ مع أمس في الزمن
فأسألوا هجرانها رفقاً بمن
مَلأت مهجته كأس الحزن وعليها وضع الحبُّ الغما
وانثنى يمزجها بالأدمعِ



علـى البُعـــد

يا نسيم الفجر يا طفل الربُى　　لاهياً فوق أراجيح الشجُر
كلما اختال على الأرض كبا　　فترامى بين أحضان الزهر
رضي الروض عليه أم أبى　　فهو لم يشكر ولا قط اعتذر
خُذ لمن أهوى على البعد نبا　　إن جهد الحب في البعد خبر

★ ★

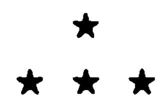
أنت يا من فيك أنسى من أنا　　بعد ذنب الدهر فينا لا عليك

★ ★

أنظري الليل تريْ هم الهوى　　يتلوى ظُلُماً في ظُلَمِ
وألحظي النجم تري معنى النوى　　كإبتسام الموت من فوق الفم
وإذا ما ملك الحب لوى　　في الكرى مفتاح باب الحُلُمِ
وتمثلت العذيب واللوّى　　وعهوداً في أمان الذمم

★ ★

فاجعلي الصبح سلاماً بيننا　　إنَّ فيه رقةً من شفتيك



كلمة في الخاتمة

أما بعد فهذه «أغاريد الرافعي» يسعدني ويشرفني ، أن أزفها لأبناء الأمة العربية ، وطلائع فتيانها ، وشبانها وفرسانها ، مجلوة بطيب الأدب ، وغراس الارب ، تذكر ناظمها الأديب الامام ، وترعى عهده للأمة ، وتنشر أدبه وحكمته .

أقوم على أخراجها اليوم دراسة وتدويناً ، أداءاً لواجب ألزمته في عنقي ، ولزاماً بفرض الكفاية عن هذه الأمة الصابرة ورجاءاً في البقية الباقية من طلبته النجباء ، ورفاقه الشعراء ، وأصدقائه الشفعاء ، أن تمتد أيديهم للأمة بالعطاء ، والتكرمة ، والنداء ، ونحن لا نضنُّ عليهم بولاء ، ولا نبخل عليهم بدعاء ، وحسبنا مرضاه الله سبحانه في ما أقدمنا عليه استجابة لنداء الضمير ، وانتصاراً للوجدان ودنوا من أمة نبيه المصطفى ، وأحاسيسها ومشاعرها ، وهي تمضي في عقيدتها المثلى ونظامها القويم ، وعروبتها الوضحاء وشريعة الله السمحاء .

تلك العقيدة التي انتصر لها الرافعي بقلمه وبيانه ، والقيم التي غيَّر من المنكر فيها بيده ولسانه ، والأهداف التي أمر بالمعروف لها بشعره وأدبه وبيانه ، حفاظاً على كرامة الامة وأحاسيسها ، وصوناً لأخلاقها ومشاعرها ، وتثبيتاً لمبادئها القومية ، ومثلها الانسانية ، مما ينبسط في كل فكرةٍ من أدبه أو خطرة من فنه ، أو رأي في خطبه أو وسيلة لرسائله ، أو غاية لأناشيده ، وأغاريده وأغانيه وأشعاره .

وإذا ما كنت عوقت بعضها - مما لم يعد يحتمله تحول الزمن ، أو فاتني بعضها الآخر الذي لم أقف عليه ، فاني لا أعدم الرجاء ممن يحتفظون ببعض أثار الرافعي الأديب العظيم من رسائله خاصة ، وأبيات متناثرة ، وقصائد غير سائرة ، ومقالات منحولة وسوى ذلك من آثار المسودات وما لم ينشر في صحيفة من قبل ، أن يتفضلوا عليَّ مشكورين ، ويتكرسوا على الأدب العربي ، والنشيد القومي بالموافاة به أصلاً أو صورة ، أو إحاطتي علماً بمضانه ، أو او ارشادي الى أماكنه ، أو دعوتي لأقف عليه ، وأنقل عنه ، وذلك أضعف الايمان .

والله المستعان على قصد السبيل .

التعريف

بالأديب الأمام مصطفى صادق الرافعي

هو ابن الشيخ عبدالرزاق الرافعي كبير القضاة الشرعيين بمصر حفيد الامام عبدالقادر الرافعي رأس الأسرة الرافعية التي ينتهي نسبها الى الامام عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

ولد في «بهيتم» في الاول من رجب ١٢٩٨هـ - الموافق للثلاثين من آيار / ١٨٨١م ونشأ في رعاية أبيه ، وما كاد يتم العاشرة من عمره حتى استظهر القرآن عليه حفظاً وتجويداً .

دخل المدرسة الابتدائية في «دمنهور» وظفر بشهادتها في «المنصورة» وعمره بضعة عشر عاماً ، وهي كلُّ حظه من الشهادات! ..

لازم أباه يأخذ عنه ، يفقه عنه الرواية والتفسير ، ويعي خبر السلف ويعرف علماء الأمة وينأى عن ضوضاء الحياة ، بعد ما صرفه المرض عن متابعة الدراسة في المدارس ، إذ ترك التيفوئيد في صدره حبسة وفي اذنه وقرا فكان يكثر من التنزه والخلوات بين الحقول النضيرة في «طنطا» .

وهي حال تلهمه معاني ، وتزيد في استغراقه وتأمله .

عين موظفاً في «طنطا» وانتهت به المطاف الى الكتابة في المحكمة بطنطا وقضى بوظيفته اربعين عاماً لم ترع الدولة له علماً ولا ادباً ! بل حرمته ابناءه من حقهم في معاش أبيهم ! .

نظم الشعر يافعاً ، وارسل قصيده فيه ونشيده ، ، واخرج «ديوانه» بأجزاء ، لم يظهر بعضها الى اليوم ! . وعرف بشاعر «الحسن» لولعه بالغزل ، كما دُعي بشاعر «الشرق» لارساله الشعر في معاناته القومية .

وكتب في البحث والدراسة والانشاء ، وقد وفق في كلٍّ بما يسّره الله له ، وإن كان في البيان قد حلّق الى درجة لم يصل اليها قبله كاتب عربي .

وأخرج كتبه : «حديث القمر» و «رسائل الاحزان» و «السحاب الاحمر» و «اوراق الورد» وهي في موضوع الحب والجمال والتربية النفسية التي اراد تنشئة أبناء الأمة عليها بصدق وأخلاص .

كما اخرج كتابه في «تاريخ اداب العرب» فتحاً مبيناً في الدراسات اعرض فيه عن التأليف القديم ، ولم يأخذ بأساليب المستعربين .

كما ألف في تاريخ القرآن مصنفاً جدد فيه الدراسات القرآنية .

وكان له في النقد صولة وأكثر من جولة وعلى ما فيه من شدة الوطأة على مجادليه ، فأنه كان غزير المادة العلمية حصيف الرأي سديد المنطق .

وقد جوّد في المقالة ، حتى لتعد «البيانية» منها له ، وانها تقف عنده ، قد يحاول تقليدها بعض معاصريه .

وله سوى هذا وذاك رسائل وصفحات في شتى الموضوعات من أدب وعلم ، وتاريخ وتشريع واجتماع ، ظهر بعضها في «وحي القلم» وما زال الكثير منها مطوياً وتائهاً بين يدي الضياع والنسيان .

وقد شاء الله أن يختاره الى جواره بعد ما وضح خطه القومي ، وظهرت دعوته العربية ، وبلغت صيحاته أفئدة الشباب - وذلك يوم الاثنين

التاسع والعشرين من صفر ١٣٥٦هـ الموافق للعاشر من آيار مايو ١٩٣٧م .

ودفن في طنطا يرحمه الله .

مصطفى نعمان البدري

فهرس اغاريد الرافعي

اغاني الشعب

متفرقات